دكتور/ عبد القادر/ سيد عبد الرؤوف

الأخلاق الإسلامية
في
ضوء الكتاب والسنة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م

دار الطباعة المحمدية

[illegible] الأتراك بالأزهر ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد :

يمتاز الإسلام على كل حضارة قديمة أو حديثة ، باهتمامـــه البالغ بتكوين الأخلاق الطيبة الكريمة ، ومن أجل تحقيق هذه الغاية الإنسانية العظمى ، يربط الإسلام الأخلاق بالأحكام ، كما يربط من ناحية أخرى العلم بالعمل .

لقد جاء الإسلام نوراً وهدى للناس جميعاً ، بعد أن انسلخ أتباع اليهودية والمسيحية من محاسن الأخلاق إلى رذائلها . وحرفوا الكلم فيهما عن مواضعه ، فبدلوا نعمة الله كفراً ، وأحلوا قومهم دار البوار ، وما جاء الإسلام بأخلاق جديدة لا يعرفونها ، فهم يعرفون الخير والشر ويميزون بين الخبيث والطيب ويفرقون بين الحق والباطل ، ذلك أن الإنسان بحكم فطرته مجبول على التمييز بين ما هو خير وشر ، والتفريق بين ما هو ضار ونافع ،

وإنما كان إمتياز الإسلام أنه ربط بين أخلاقه وأحكامه ربطاً محكماً وثيقاً فليس المهم أن يظفر الخصم بحكم قضائي يعطيه حقا يدعيه على خصمه وإنما المهم أن يكون ما حكم به حقاً صحيحاً ، وليس مزعوماً أو باطلا ، وقد استطاع ببلاغة قوله ، أو روعة دفاعه أن يظفر به .

يقول الرسول ﷺ : « إنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم ألحن

بحجته من بعض ، فأحكم له بنحو ماأسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه ، فإنما أقضى له بقطعة من النار فلا يأخذها[١] .

والمهم هنا ضمير المسلم أو خلقه ، فليس له أن يأخذ شيئا ليس من حقه ولو أثبته عند القاضى بحجة قوية ،أو شهادة مزورة .

ومن أجل ذلك حرم الإسلام الشفاعة فى الحدود والرشوة لأكل أموال الناس بالباطل ، وشهادة الزور ، وكل سلوك أو خلق ذميم يتوصل به الإنسان إلى ظلم أخيه الإنسان .

لقد رفع الإسلام الأخلاق الحسنة فوق مصلحة الفرد ، وجعل ثوابه جزيلا وميزانه ثقيلا ، حتى أنه جعل الكلمة الطيبة التى هى ثمرة الخلق الطيب الكريم صدقة كصدقة المال ، بل فضل القول المعروف على الصدقة التى يتبعها منا أو أذى وأكثر من ذلك جعل كف الأذى عن الناس صدقة .

قال عز وجل : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى »[٢] .

وقال تعالى : « وأن تعفوا أقرب للتقوى »[٣] .

وقال عز من قائل : « وقولوا للناس حسنا »[٤] .

وقال : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »[٥] .

ويقول عليه الصلاة والسلام « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[٦]

---

(١) أخرجه الإمام البخارى كتاب الشهادات .

(٢) البقرة : ٢٦٣   (٣) البقرة : ٢٣٧

(٤) البقرة : ٨٣   (٥) الأعراف : ١٩٩

(٦) رواه الإمام أحمد .

ويقول : « إن أحبكم إلى الله : أحاسنكم أخلاقاً ، الموطأون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى الله : المشاءون بالنميمة ، الملتمسون العثرات ، المفرقون بين الأحبة »[1] ويقول : « خصلتان لا تجتمعان فى مسلم : البخل وسوء الخلق[2] ويقول : « أنا زعيم بيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه »[3] :

والأمثلة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لا حصر لها تدل دلالة واضحة على أن الإسلام دين الأخلاق الحسنة الكريمة وسوف نذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى :

هذا وقد اشتمل الكتاب على : —

١ — تمهيد .

٢ — تعريف الأخلاق لغة وإصطلاحاً .

٣ — مكانة الأخلاق فى الإسلام .

٤ — مصادر الأخلاق فى الإسلام .

— القرآن الكريم — السنة النبوية الشريفة — سيرة السلف الصالح

٥ — خصائص الأخلاق الإسلامية : —

— التوازن — الشمول — الإيجابية — لزوم الأخلاق فى الوسيلة والغاية — إرتباط الأخلاق بمعانى الإيمان والتقوى — إرتباط الأخلاق بالعقيدة والعبادة — تفصيل الأخلاق أمثلة على ذلك — وقوع الجزاء فيها .

٦ — وسائل الإسلام فى إكتساب الفضائل ومقاومة الرذائل :

(١،٢) رواه البخارى (٣) رواه أبو داود .

الاستقامة — القدوة الحسنة — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — التوبة — الصدق — التعاون .

٧ — نماذج من أخلاق السلف الصالح :

- سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه .
- سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
- سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .
- سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه .
- عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

٨ — أخلاق الإسلام والأخلاق الأخرى .

٩ — الغاية من الأخلاق الإسلامية .

تعريف الأخلاق : —

الأخلاق لغة : جمع خلق . وخلق بضم اللام وتسكينها هو الطبع والسجية[1] .

واصطلاحاً : هى الصفة الراسخة فى النفس ، التى يستحق صاحبها بناء عليها المدح أو الذم ، وعلى هذا التعريف ، فهى تشمل الصفة الحسنة ، والقبيحة ، فالحسنة مثل الصدق والصبر وعلو الهمة والسخاء والحياء ، والاستعلاء وإكرام الضيف والجار ، والقبيحة مثل الغش والخداع والرياء والنفاق والشح والكذب والزور وإيذاء الناس وغير ذلك ، وعلى هذا الأساس فإن الأخـــلاق فى عمومها تشمل كافة التصرفات التى يقوم بها العبد .

ولكن علماء الأخلاق يطلقون الخلق على الصفة الحسنة تغليباً ، فالأخلاق عندهم هى الصفات الحسنة الراسخة فى النفس ، التى ينبثق عنها المسلك الطيب فى الحياة وقد عرفها الإمام الغزالى رحمه الله تعالى بأنها : هيئة راسخة فى النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر ، دون حاجة إلى فكر وروية)[2] .

والأخلاق بمفهومها الإسلامى هى عبارة عن التقيد بأحكام الشريعة الغراء أمراً ونهياً ، فى جميع التكاليف ، التى تربط الإنسان بخالقه عز وجل ، فى العقائد من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وكتبه ورسله وملائكته واليوم

---

(١) مختار الصحاح للرازى ص ٣٤٤ ، المصباح المنير للرافعى ج ١ ص ١٨٤

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٥٢ ، المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٥٢ مجمع اللغة العربية .

الآخر وما فيه ، فالعقيدة الإسلامية هى الأساس الذى تنبثق عنه أخلاق الإسلام وقيمه وتصوراته ولا مكان للأخلاق فى مفهوم الإسلام إلا إذا كانت مسبوقة بالعقيدة الراسخة المستقرة فى القلب لتكون بالتالى حافزاً للسلوك الكريم والخلق الفاضل ، ثم بعد ذلك العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ، ثم المعاملات التى تربط المسلم بالمجتمع الإسلامى أو غيره من المجتمعات الأخرى .

مكانة الأخلاق فى الإسلام :

الإسلام دين سمح كريم ، حث على مكارم الأخلاق ، ودعا الناس إلى الفضيلة وحب الخير ، وعلى ذلك فلا عجب أن يركز الإسلام على الأخلاق تركيزاً عظيماً باعتبارها ثمرة منشودة لتعم فى الأرض الفضيلة والسلوك الحسن والخير العميم .

ولقد حشد الإسلام شطراً كبيراً من الأوامر والنواهى ليكون الفرد فاضلا معطاءاً باعث خير ومعروف وهذه هى الأخلاق المرجوة ، التى يبتغيها الإسلام بعقيدته وعباداته وشرائعه حتى تتحقق الفضيلة فى الأرض وتتبدد الرذيلة ، وحتى يكون الناس جميعاً طيبين كراماً ذوى خلق حسن .

وللأخلاق فى الإسلام مكانة عظيمة جداً تظهر من وجوه كثيرة ، منها : —

١ — تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارم الأخلاق ، جاء فى الحديث الشريف عن النبى ، صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

٢ — تعريف الدين بحسن الخلق ، جاء رجل إلى رسول الله ، صلى الله

عليه وسلم فقال يارسول الله : ما الدين؟ فقال الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « حسن الخلق » .

٣ — من أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم الحساب حسن الخلق، جاء فى الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم : «أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » .

٤ — المؤمنون يتفاضلون فى الإيمان ، وأفضلهم فيه أحسنهم خلقاً ، جاء فى الحديث : قيل يا رسول الله أى المؤمنين أفضل إيماناً ؟ قال: أحسنهم خلقـاً » .

٥ — أن المؤمنين يتفاوتون فى الظفر بحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم وقربهم منه يوم القيامة ، وأكثر المسلمين ظفراً بحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم والقرب منه أولئك المؤمنون ، الذين حسنت أخلاقهم حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم جاء فى الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيـامة أحاسنكم أخلاقاً » .

٦ — إن حسن الخلق أمر لازم وشرط لابد منه للنجاة من النار، والفوز بالجنان وأن التفريط بهذا الشرط لا يغنى عنه حتى الصلاة والصيام، جاء فى الحديث أن بعض المسلمين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها ، قال : لا خير فيها هى من أهل النار » .

٧ — أن النبي ، صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه بأن يحسن خلقه وهو صاحب الأخلاق العظيمة وأن يهديه لأحسنها ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : «اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى » ويقول: اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لايهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف عنى سيئها إلا أنت » .

٨ — مدح الله عز وجل رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق، فقد جاء فى القرآن الكريم: «وإنك لعلى خلق عظيم» والله تعالى لا يمدح رسول الله إلا بالشىء العظيم مما يدل على عظيم منزلة الأخلاق فى الإسلام.

٩ — كثرة الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بموضوع الأخلاق، ولا شك أن كثرة الآيات فى موضوع الأخلاق يدل على أهميتها)[١].

والذى يستعرض نصوص الكتاب يجد أن الأخلاق تحتل مكانة عظيمة فى القرآن الكريم.

قال عز وجل: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون»[٢].

وقال: «يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور»[٣].

وقال جل فى علاه: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون فى السراء والضراء، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين»[٤].

وقال سبحانه وتعالى: «والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما»[٥] وقال: «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما»[٦].

---

(١) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ٧٦—٧٨

(٢) النحل: ٩٠ (٣) لقمان: ١٧

(٤) آل عمران ١٣٣، ١٣٤ (٥) الفرقان: ٧٢

(٦) طه: ١١٢

ومن ذلك أيضاً قول الله عز وجل : « خـــذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »[١] .

قال جعفر الصادق: أمر الله — عز وجل — نبيه — صلى الله عليه وسلم — بمكارم الأخلاق فى هذه الآية ، وليس فى القرآن الكريم آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية ، لأن معنى «خذ العفو» تشمل العفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين كما يشعر بذلك قوله تعالى : فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين» كما تتضمن الأخذ باليسير من الأمور وترك العسير فيها ، كما قال النبى ، — صلى الله عليه وسلم — : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » .

« وأمر بالعرف» أى وأمر بالمعروف وهو المستحسن من الأفعال أدناها وأعلاها على أن كلمة الأمر بالمعروف تنص على اللين فى الأمر والرفق بالمأمورين ، وهذا ما كان عليه النبى ، صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر »

وفى الحديث : «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم» .

ويتضمن معنى «وأعرض عن الجاهلين» الإعراض والتولى عن الجاهلين الجامدين الذين لا ينفع فيهم وعظ ولا إرشاد ، فلا تمار فيهم ولا تقابل سفاهتهم بسفاهة مثلها صوناً لك ورفعاً لقدرك)[٢] .

وليست هذه الآية مقصورة على أمر النبى ، صلى الله عليه وسلم —

---

(١) الأعراف : ١٩٩

(٢) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن الكريم جـ ٧ ص ٣٤٥، ٣٤٩ دار الكتاب العربى .

بالتخلق بها دون سائر الناس ، وإنما هى عامة شاملة لجميع الناس كما قال ابن الزبير : ماأنزل الله هذه الآية إلا فى أخلاق الناس) (١) .

والذى يستعرض السنه النبوية الشريفة يجد أن الأخلاق تحل مكانة عظيمة فى أحاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

ففى الحديث الشريف يقول النبى ، صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » (٢) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : مامن شىء أثقل فى الميزان من حسن الخلق » (٣) .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم عن أكثر مايدخل الناس الجنة قال : « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر مايدخل الناس النار قال : الفم والفرج » (٤) .

وأخرج البخارى أن النبى ، ﷺ قال : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » (٥) .

وأخرج الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال « مامسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ، ﷺ ولا شممت رائحة قط أطيب

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ٢٧٧ ، الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ٣٤٦

(٢) سنن أبى داود ج ٤ ٢٥٢

(٣) سنن أبى داود ج ٢ ٢٥٣

(٤) رياض الصالحين ٢٨٠

(٥) البخارى ج ٨ ص ١٧

من رائحة رسول الله ﷺ ، وقد خدمت رسول الله ، ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا »(١) .

ومن مكارم الأخلاق التى دعا إليها الإسلام وحث عليها ، الأمانة قال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ... »(٢) .

هذه آية موجزة فى لفظها ولكنها كثيرة فى معانيها ، فقد تضمنت أمور الدين والشرع ، وهى من أمهات الأحكام العامة فى جميع الناس من ولاة مكلفين وغير ولاة ممن دونهم من سائر الناس بقسمة الأموال ورد المظالم وحفظ الودائع وردها لأصحابها وفى سائر العبادات كالصلاة والزكاة والصيام ، وفى الكيل والميزان ، ولذلك أجمع العلماء على وجوب رد الأمانات إلى أصحابها المسلمين منهم وغير المسلمين ، قال النبى ، صلى الله عليه وسلم « أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » .

ومن مكارم الأخلاق التى حث عليها الإسلام ودعا الناس إلى التحلى بها الصدق وهو خلق جليل وعلامة من علامات الإيمان وثمراته .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »(٣)

أى فى الإيمان والصدق فى القول والعمل وطاعة الله عز وجل ، قال ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية الكريمة : « أى اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً)(٤) .

---

(١) رياض الصالحين ٢٧٩ (٢) النساء : ٥٨
(٣) التوبة : ١٩ (٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ ٣٩٩

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ...»[١].

ومن مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام أيضا: العدل وهو صفه لازمة فى الحاكم المسلم قال الله عزوجل: «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً»[٢].

وهذا الخطاب وإن كان ظاهره موجهاً إلى الحكام والقضاة فهو عام يدخل فيه جميع الناس لقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الامام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[٣].

فهذا الحديث الصحيح قد جعل الناس جميعا رعاة وحكاماً على حسب درجاتهم مسئولين أمام الله عز وجل فى تحقيق العدل بين الناس حتى لايكون هناك مظلوم

ومن مكارم الأخلاق التى حث عليها الإسلام وأمر الناس بالتمسك بها أيضا: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والمعروف هو: كل فعل وقول وقصد حسنه الشارع وأمر به وحث عليه.

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ٤٣٩

(٢) النساء: ٥٨

(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢٥ باب فضيلة الإمام العادل

والمنكر هو: كل فعل وقول وقصد قبّحه الشارع ونهى عنه ونفر منه ومن هنا فإن الله جلت قدرته حبب إلينا المعروف والخير، وأمرنا أن ندعو إليه وكره إلينا المنكر ونهانا عنه وأمرنا بمنع غيرنا منه قال عز من قائل: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»(١).

فقد حقق الله تعالى لهم الفلاح بدعوتهم إلى الخير والسعادة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والفساد.

كما وصف الله عز وجل بهما المؤمنين والمؤمنات فقال جل فى علاه: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ...»(٢).

كما أوضح سبحانه وتعالى أننا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خير الأمم فقال تبارك وتعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...»(٣).

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بهما، وحذر الأمة من تركهما فقد جاء فى الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»(٤) وقال أيضا صلوات

---

(١) آل عمران: ١٠٤

(٢) التوبة: ٧١

(٣) آل عمران: ١١٠

(٤) رياض الصالحن ١٠٣

الله وسلامه عليه : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان [١] .

ومثل هذه الأخلاق الكريمة أيضا :الصبر على المكروه،والإخلاص فى القول والعمل والحلم والصفح ، والكرم والجود وغيرها من المكارم التى لاتحصى ، والتى جاء الإسلام لاتمامها ، وتربية النفس عليها حتى يقوم المجتمع الإسلامى أسرة وبيتا ومدرسة ودولة وطريقا على قواعد وأسس تعطى القوة والخير والعزة والحب والأخاء ، وتمنع الأذى والعدوان والحقد والحسد والبغضاء .

ولنضرب لذلك مثلا من أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحبه لنفسه » [٢] . فالإنسان مطبوع على أن يحب لنفسه من معاملة الناس له : صدقهم ، وعدلهم ، وأماناتهم ، ووفاءهم وإخلاصهم ، وحلمهم وكرمهم ، ولن يكمل إيمانه حتى يحب لهم من نفسه هذه المكارم الأخلاقية أيضا. فيعاملهم بها ، كمايحب أن يعاملوه ، ويمنحهم إياها كما يحب أن يمنحوه .

مصادر الأخلاق فى الإسلام :

الأخلاق فى الإسلام لها مصادر وأصول تستند إليها ، هذه المصادر والأصول والأسس تشترك جميعا فى تكوين الأخلاق التى شرعها الإسلام وهى :

---

(١) رياض الصالحين ١٠٧
(٢) رواه البخارى فى صحيحه

القرآن الكريم : ـ

وهو الأساس الأكبر الذى يستمد منه الإسلام تعاليمه وعقائده ونظمه ، وكلام الله لا يعلوه كلام .

وذلك من حيث الأسلوب فى روعته ومن حيث المعانى فى غزارتها وتدفقها ومن حيث الإعجاز الذى يفيض به القرآن الكريم كلما تلوناه وتدبرنا آياته ، ومن حيث الأخلاق فإن القرآن الكريم هو الميزان الذى تقاس به الأمور السلوكية جميعاً .

ومن هنا فالقرآن الكريم يدعو إلى التحلى بمكارم الأخلاق ، والبعد والتخلى عن الإثم والشر والعدوان ، لقد رسم لنا القرآن الكريم منهاجاً أخلاقياً واضحا ، يسير جنباً إلى جنب مع جميع مظاهر الحياة ، فى العبادات والعادات ، فى البيت والشارع ، ومحل العمل والتجارة ، وفى المعاملات الداخلية والخارجية ، قال تعالى فى مدح حبيبه ومصطفاه ، وهو القدوة لنا ﷺ ! « وإنك لعلى خلق عظيم »(١) وقال عز وجل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »(٢) .

وهذه أخلاق كريمة أمر الله عز وجل بها عباده المؤمنين أن يتحلوا بها ويسيروا عليها وفى القرآن الكريم آيات كثيرة أخرى تحض على الأخلاق وتدعوا الناس إلى التخلق بها والترغيب فيها بما أعده الله سبحانه وتعالى للمتمسكين بها من مغفرة وأجر عظيم . من ذلك قوله تبارك وتعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين

---

(١) القلم : ٤

(٢) النحل : ٩٠

عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين »(١) .

ففى هذه الآيات الكريمة ست خصال لو تخلق المسلم بها لغفر الله له ذنوبه ولأدخله جنة واسعة مد البصر ، وجلاء النظر ، عرضها كعرض السماء والأرض ، فيها مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

السنة النبوية الشريفة : —

هى المصدر الثانى بعد كتاب الله تعالى ، التى تستمد منها الأخلاق الفاضلة وهى تفسير وتوضيح لكلام الله عز وجل فى قرآنه الكريم ، وهى كذلك بيان تفصيلى لما فى القرآن الكريم من معان تتصف بالاجمال أو الإطلاق أو العموم قال عز وجل فى بيان ذلك : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »(٢) .

وفى مجال الأخلاق فإن السنة النبوية الشريفة لها الدور البارز فى تأسيس الأخلاق وفى تنميتها وتوجيهها ، فى تصرفات الرسول ﷺ العملية وتوجيهاته القولية ، مبادئ أخلاقية غالية نجد ذلك فى قوله ﷺ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »(٣) .

---

(١) آل عمران : ١٣٣—١٣٦

(٢) النحل : ٤٤

(٣) موطأ الإمام مالك جـ٢ ٩٠٥ كتاب حسن الخلق

فالخلق الكريم والاستقامة والفضيلة أساس من أسس السعادة، وهدف من أهداف الرسالة الخاتمة.

وفى الحديث السابق تأكيد من النبى ﷺ أنه قد بعث لتحقيق مكارم الأخلاق. ولقد كان ﷺ فى هواه وأخلاقه وسلوكه لا يتجاوز القرآن الكريم ولا يبعد عنه مثقال ذرة، وإنما كان يسير على هدى منه، وفى هذا فقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق النبى، ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»[١].

فالنبى ﷺ هو القدوة الكريمة الحسنة فى سلوكه وأخلاقه، وهو عليه الصلاة والسلام يعتبر مقياسا حقيقا فيما هو حسن وغير حسن وفيما هو محمودا أو غير محمود، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام: «أحسن الناس خلقا»[٢].

كما دعا ﷺ الأمة الإسلامية بالتحلى بحسن الخلق فقال: صلوات الله وسلامه عليه: «إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»[٣].

وقال أيضا: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا. وخياركم خياركم لنسائهم»[٤] رواهما الترمذى وقال: حديث حسن.

فكان عليه الصلاة والسلام وعاء النور ومهبط الوحى يتلق عن ربه تعاليم السماء ودستور الهدى ثم يبلغ للناس ما أنزل إليهم وقد صاغ عليه الصلاة والسلام هذه الهداية سلوكا وعملا وقولا قال صلوات الله

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص٤٠٢ والحديث رواه الإمام أحمد
(٢) رياض الصالحين ٢٧٩
(٤،٣) رياض الصالحين ٢٨٠، ٢٨١

وسلامه عليه: أوصانى ربى بتسع ، الإخلاص لله فى السر والعلن والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفوا عمن ظلمنى وأصل من قطعنى وأعطى من حرمنى ، وأن يكون صمتى فكراً ونطقى ذكراً ونظرى عبرة)[1] .

أى أدب أسمى من هذا الأدب ؟ وأى قيم أعلى من هذه القيم ؟ إنها الأخلاق الإسلامية التى تربى عليها الرسول ، ﷺ ، وربى عليها أصحابه رضى الله عنهم ، حقا لو لم يكن ما جاء به الإسلام ديناً لكان فى دنيا الأخلاق شيئا عظيماً .

سير السلف الصالح : —

لقد تربى السلف الصالح رضوان الله عليهم على أخلاق الإسلام ، فى مدرسة الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة . والتزموا بمناهجهما الأخلاقى الرفيع فكانت قلوبهم نظيفة من الحقد والحسد والبغضاء والضغينة ، وأيديهم طاهرة مما حرم الله عز وجل ، وقلوبهم مشرقة بنور الإيمان ، وعلى هذه الأخلاق وبهذه الاخلاق فتحت لهم البلاد وخضعت لهم الرقاب ، لم يداخلهم الغرور بهـــذا الفتح العظيم ، ولم تلههم الدنيا بزخرفها وزينتها عن الآخرة ولم يخرجوا عما أمر الله تعالى به ، ومن خلال هذه المنابع الفياضة بالخير والفضل يستمد المسلم أخلاقه ومنهاج تصرفاته وسلوكه فى الحياة .

إن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعرف بشدته وعنفه قبل أن يتولى الخلافة ، وعندما أصبح خليفة للمسلمين انقلب إلى التواضع واللطف وسماع العظات والنصائح من الرعية .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى ج٧ ٣٤٦

من ذلك : عندما خطب الناس بعد توليه الخلافة قال : (من رأى منكم فى اعوجاجاً فليقومه ، فقام رجل وقال له : لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا فقال عمر رضى الله عنه : الحمد لله الذى جعل فيكم من يقوم اعوجاج عمر بسيفه)

وقال له مرة أحد الرعية : اتق الله ياعمر ! فزجر رجل من الحاضرين قائلها ، فكان تعقيب عمر على الأخير : لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم) .

ولقيته إمرأة فى الطريق ، فقالت له : كنت عميراً فأصبحت عمر ، ثم أصبحت أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر ! فقال رجل من أصحابه للمرأة : أتقولين هذا لامير المؤمنين ؟ وكان رد أمير المؤمنين على صاحبه : أتعرف من هذه ؟ إنها خولة بنت حكيم ، لقد سمع الله قولها من فوق سبع سماوات فأجدر بعمر أن يستمع لها ، ثم أخذ يبكى رضى الله عنه وأرضاه[1] :

خصائص الاخلاق الاسلامية :

الاخلاق فى الإسلام تتميز عن غيرها من الاخلاق غير الاسلامية بجملة خصائص نوضحها فيما يلى :

---

(١) محاضرات فى الثقافة الإسلامية أحمد محمد جمال دار الكتاب العربى ص١٥٩، ١٦٠

١ — التوازن :

من خصائص الأخلاق الإسلامية أنها متوازنة بحيث تشمل جميع نشاطات الإنسان فى آن واحد من غير أن يكون فى ذلك تعارض بين جانب وآخر، ومن غير تركيز على جانب من أنشطة الإنسان المختلفة وإهمال بقية الأنشطة، وذلك هو التوازن الذى يريده الإسلام، وهو أحد المقومات التى يرتكز عليها هـذا الدين ليؤسس بنيانه ونظامه فى الحياة، ولا شك أن هـذه الميزة تعزز صلاحية الإسلام للحياة فى كل زمان ومكان .

وعلى هذا الأساس فإن المسلم يقوم بأداء واجباته الخلقية بغير تمييز لأنه مطالب بذلك بقدر المستطاع قال عز وجل : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »[١] وبعبارة أخرى فإن المسلم ليس له أن يختار من أخلاق الإسلام كما يحب أن يهوى ، فلا يكون صادقاً أميناً كريماً ثم يكون فظاً غليظاً لا يرحم، وليس له كذلك أن يكون سخياً كريماً ثم يكون ظلوماً غشوماً لا يسلك سبيل العدل والإنصاف ، ولا يكون واصلا رحمه حافظاً للعهد ثم يأكل الربا ويشهد الزور ، ليس ذلك من شأن الخلق الحسن الذى يقرره الإسلام، وذلك أمر مخالف للتوازن الذى يعتبره الإسلام كثيراً ليكون إحدى خصائص الأخلاق وخلاصة القول أن تكون الأخلاق الإسلامية موزعة على جميع الأنشطة فى الإنسان وذلك فى تناسب وتوافق محكم[٢] .

---

(١) البقرة : ٢٨٦

(٢) أنظر : دراسات فى الثقافة الإسلامية د/ أمير عبدالعزيز ص٣٤٧ دار الكتاب العربى

٣ — شمول الأخلاق :

تتميز الأخلاق فى الإسلام بخاصية الشمول، لأنها تنبع من الإسلام، الذى لا يهدى إلى الأخلاق الفاضلة والمثل العليا سواه .

إن الأخلاق فى الإسلام لم تدع جانبا من جوانب الحياة الإنسانية روحية أو جسمية ، دينية أو دنيوية ، عقلية أو عاطفية ، فردية أو إجتماعية ، إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع . فما فرقه الناس فى مجال الأخلاق ، باسم الدين وباسم الفلسفة ، وباسم العرف أو المجتمع، فقد ضمّه القانون الأخلاقى فى الإسلام فى تناسق وتكامل ، إن من أخلاق الإسلام ما يتعلق بالفرد فى كافة جوانبه ونواحيه :

— جسما له ضروراته وحاجاته « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا »(١).

ويقول الرسول ﷺ : « إن لبدنك عليك حقاً »(٢) .

— وعقلا له مواهبه وآفاقه « قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض »(٣) .

— ونفساً لها مشاعرها ودوافعها وأشواقها : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها »(٤) .

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالأسرة كالعلاقة بين الزوجين :

« وعاشروهن بالمعروف »(٥) وكالعلاقة بين الأبوين والأولاد : « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا »(٦) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق .(٧)»

---

(١) الأعراف ٣١ . (٢) رواه الصحيحان
(٣) يونس ١٠١ (٤) الشمس ٩ ، ١٠
(٥) النساء ١٩ (٦) الأحقاف ١٥
(٧) الإسراء : ٣١

وكالعلاقة بين الأقارب والأرحام : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى »[1] :

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالمجتمع :

— فى آدابه ومجاملاته : «ولا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها »[2] .

— وفى إقتصاده ومعاملاته : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »[3] .

— وفى سياسته وحكمه : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»[4] .

ومن أخلاق الإسلام ، ما يتعلق بغير العقلاء من الحيوان والطير ، كما فى الحديث « إتقوا الله فى البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة » ، « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالكون الكبير ، من حيث أنه مجال التأمل والاعتبار والنظر والتفكير والاستدلال بما فيه من إبداع وإتقان على وجود مبدعه وقدرته وعلى علمه وحكمته كما قال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك »[5] وقبل ذلك كله مايتعلق

---

(١) النحل : ٩٠ (٢) النور : ٢٧ (٣) المطففين ١ — ٣
(٤) النساء : ٦٨ (٥) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١

بحق الخالق العظيم . الذى منه النعيم وله الحمد[1] والأخلاق الإسلامية فى مجموعها تنبذ الميكافيلية[2] وتؤمن بأن الغاية الشريفة لا يجوز أبداً أن يسلك إليها بوسائل غير شريفة . والأخلاق الإسلامية كقوة إنسانية تسمو وتتسامى فوق كل مذهب فلسفى سياسى أو إقتصادى أو إجتماعى مهما كانت شعاراته[3] .

مما سبق يتضح لنا أن الأخلاق الإسلامية لم تترك جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا وشملته سواء كان فرداً أو أسرة أو مجتمعاً بالرعاية والتهذيب والإصلاح فهل يا ترى هذه الشمولية خاصة ومحصورة فى علاقة المسلمين فيما بينهم فقط أم أنها تتعداهم إلى غيرهم ممن يخالفونهم فى العقيدة!

لقد شاع بين الناس وأيده الواقع ، إن العلاقات بين الدول لا تقوم على أساس مراعاة الأخلاق ، حتى إن أحدهم قال : لا مكان للأخلاق فى العلاقات الدولية ، ولهذا كان الخداع والتضليل والغدر والكذب من البراعة فى السياسة ، أن الإسلام يرفض هذا النظر السقيم ، ويعتبر ما هو قبيح فى علاقات الأفراد قبيحاً أيضاً فى علاقات الدول ، ويعتبر ما هو مطلوب وجميل فى علاقات الأفراد . مطلوباً وجميلا فى علاقات الدول. ولهذا كان من المقرر فى شرع الإسلام أن على الدول أن تلتزم بمعانى الأخلاق وهذا التقرير موجود فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية الشريفة وفى أقوال الفقهاء فمن ذلك :

---

(١) يراجع فى هذا الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوى ص ١١٠—١١٣ بتصرف

(٢) الميكافيلية نسبة إلى ميكافيلى صاحب نظرية فصل السياسة عن الأخلاق وكذلك فصل الاقتصاد والاجتماع والدين والأدب عن الأخلاق. قضايا العصر فى ضوء الإسلام أنور الجندى ١٩٥

(٣) المرجع السابق ص ١٩٤

أولا : قال تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » أى إذا ظهرت خيانة من عاهدتهم وثبتت دلائلها ، فأعلموهم بنقض ميثاقهم وعهدهم حتى تستووا معهم فى العلم ، لأن الله تعالى لا يحب الخائنين ولو كانت الخيانة مع قوم كافرين . وكانوا فى نقض العهد بادين :

ثانياً : كان من شروط معاهدة الحديبية بين النبي ﷺ وبين مشركى قريش أن من يأت من قريش النبى ﷺ مسلماً يرده النبى ﷺ ولا يؤويه ، وبعد الفراغ من كتابة المعاهدة جاء أبو جندل مسلماً معلنا إسلامه يستصرخ المسلمين أن يؤووه ويحموه من قريش فقال له الرسول الكريم ﷺ « إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا وإنا لا نغدر بهم » .

ثالثاً : قال الفقهاء : لا يجوز للمسلم أن يخون أهل دار الحرب إذا دخل ديارهم بأمان منهم ، لأن خيانتهم غدر ولا يصلح فى دين الإسلام الغدر[1] فالأخلاق تعتبر عنصراً هاماً فى تكوين الفرد المثالى ، والأسرة السليمة ، والمجتمع الراقى ، والدولة الناهضة ، ومن أجل ذلك حرص الإسلام عليها أشد الحرص لأعداد الأمة التى تتحمل الأمانة ، وتؤدى رسالة المولى عز وجل .

والأخلاق القويمة هى التى تعصم المجتمعات من الإنحلال ، وتصون الحضارة والمدنية من الضياع ، وبدونها لا تنهض الأمم ولا تقوى الدول مهما بلغت من العلم ، فالعلم والأخلاق دعامتان من الدعائم الأساسية التى لا تستغنى عنها المجتمعات ، ولهذا قال أمير الشعراء أحمد شوقى :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

---

(١) أنظر أصول الدعوة د/عبد الكريم زيدان ص٨٤ — ٨٥

٣ — الإيجابية :

تتميز الأخلاق الإسلامية عن غيرها بالإيجابية ، فليس من طبيعتها الإنكماش والسلبية ، لأنها تنسجم تماماً مع الفطرة البشرية لتتلاءم بذلك مع حركة الحياة بغير أنزواء وانكماش عن الخير والعطاء . وتتضح هذه الحقيقة إذا اطلعنا على أخلاق الإسلام فى أصولها وأجزائها لتحقق من أن ذلك كله طريق لجلب الخير للإنسان فى فكره وروحــه وبدنه وفى كيانه كله .

وهو كذلك طريق لدفع الشر والفساد بكل صوره وأشكاله، فما من تكليف ونهى أو ترغيب وترهيب إلا وهو ينطوى على تحقيق مصلحة أو إبعاد فساد يحيق بالإنسان .

ومن الإيجابيات التى تتميز بها أخلاق الإسلام أن يسعى الرجل على الأرملة والمسكين وفى هذا يقول الرسول ، ﷺ : «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ، وأحسبه قال : كالقائم الذى لا يفتر وكالصائم الذى لا يفطر » ومن الإيجابيات أيضاً التى تتميز بها أخلاق الإسلام أن يكون المسلم عضواً نافعاً فاعلا فى مختلف نواحى الحياة ومن خير ما يقال فى هذا ماروواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كل سلامى من الناس عليه صدقة وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة »[1].

---

(١) دراسات فى الثقافة الإسلامية د/أمير عبد العزيز ص ٣٤٩ دار الكتاب العربى ١٩٧٩ م .

٤ — لزوم الأخلاق فى الوسيلة والغاية :

تتميز الأخلاق الإسلامية عن غيرها أيضاً بخاصية الإلتزام فى الوسيلة والغاية ، فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة ، ولهذا لا مكان فى مفاهيم الأخلاق الإسلامية للمبدأ الخبيث الغاية تبرر الوسيلة) وهو مبدأ انحدر إلينا من ديار الكفر ، يدل على ذلك ، أى على ضرورة مشروعية الوسيلة ومراعاة معانى الأخلاق فيها قوله عز وجل : « وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق . والله بما تعملون بصير » فهذه الآية الكريمة توجب على المسلمين نصرة إخوانهم المظلومين قياماً بحق الأخوة فى الدين ، ولكن إذا كانت نصرتهم تستلزم نقض العهد مع الكفار الظالمين لم تجز النصرة لأن وسيلتها الخيانة ونقض العهد ، والإسلام يمقت الخيانة ويكره الخائنين[1] ،

٥ — إرتباط الأخلاق بمعانى الإيمان والتقوى :

إن الأخلاق فى الإسلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بالله سبحانه وتعالى وتقواه عز وجل ولهذا قال الرسول الكريم ، ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم »[2] رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

فحسن الخلق دليل على كمال إيمان المؤمن وعلامة على صدقه وتقواه ، ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ،

---

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ص٨٦

(٢) رياض الصالحين ص ٢٨٠

قال: تقوى الله وحسن الخلق »[1] ، فهذا يدل على الصلة الوثيقة بين الأخلاق والإيمان والتقوى لله عز وجل.

ولهذه الصلة الوثيقة بين الإيمان والأخلاق ، والرابطة المتينة بين الإيمان والأخلاق والتقوى انتبه علماء التربية والإجتماع فى الغرب وفى كثير من الأمم فأصدروا توجيهاتهم وأعلنوا عن آرائهم ووجهات نظرهم بأنه من غير دين لايتم استقرار وبغير — إيمان بالله لا يتحقق — إصلاح ، ولا يتقوم خلق .

قال الفيلسوف الألمانى (فيختيه) : الأخلاق من غير دين عبث .

وقال الزعيم الهندى المعروف غاندى : أن الدين ومكارم الأخلاق هما شىء واحد لا يقبلان الإنفصال ولا يفترق بعضهما عن بعض ، فهما وحدة لا تتجزأ ، إن الدين كالروح الأخلاق والأخلاق كالجو للروح ، وبعبارة أخرى الدين يغذى الأخلاق وينميها وينعشها ، كما أن الماء يغذى الزرع وينميه .

وقال القاضى البريطانى دينتج : — بدون الدين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون . الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذى يعرف منه حسن الخلق من قبيحه، والدين هو الذى يربط الإنسان بمثل أعلى يرنوا إليه،ويعمل له والدين هو الذى يحد من أنانية الفرد ، ويخضعها لأهدافه ومثله ، ويربى فيه الضمير الحى الذى على أساسه يرتفع صرح الأخلاق .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٠

وقال : كانت : لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة : وجود الإله وخلود الروح، والحساب بعد الموت)[١] .

إن الدين منهج للأخلاق ، والأخلاق هى الدين بكل ما فيه ، وليست خارجة أو زائدة عليه فى قليل أو كثير ، فنهج الإسلام فى الأخلاق كتاب الله عز وجل المتمثل فى سلوك رسول الله ، ﷺ ، يقول تبارك وتعالى: «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »[٢] .

٦ — إرتباط الأخلاق بالعقيدة والعبادة:

ترتبط الأخلاق الإسلامية بالعقيدة ارتباطاً وثيقاً ، حيث أن العقيدة هى الأساس الأول للاخلاق الحسنة، وهى التى تدفع نحو السلوك الطيب وعلى ذلك فإن الأخلاق الإسلامية هى وليدة العقيدة ، التى تستقر فى صميم الإنسان لتكون العامل المحرك المؤثر ، وبذلك فلا مكانة للاخلاق بغير عقيدة .

أخرج البخارى عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال وحوله جماعة من أصحابه : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من

---

(١) راجع فى هذا تربية الأولاد فى الإسلام للأستاذ عبد الله ناصح علوان جـ١ ص ١٨٠ .

(٢) الأحزاب : ٢١

ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله — إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » فبايعناه(١) .

وتوجب العقيدة الإسلامية أن يستقيم العبد مع نفسه ومع الناس لكى يأمنه المسلمون جميعاً على أنفسهم وأموالهم ودمائهم وأعراضهم .

فقد أخرج النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ، ﷺ قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم »(٢) .

وعنه ﷺ قال : كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »(٣) ومن جهة أخرى فإن الأخلاق الإسلامية ترتبط أشد ارتباط بالعبادة . بل هى مقترنة تماماً بالعبادة(٤) .

فعندما نتأمل الفرائض التى فرضها الإسلام على المسلمين وعدها أركاناً يقوم عليها الدين ، ويستوى بها بنيانه المتين ، وهى الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج نجدها قد فرضت لتكون وسائل وطرق إلى تحقيق مكارم الأخلاق .

عن الصلاة يقول عز وجل : « وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وفى الحديث النبوى : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً » .

وفى الحديث القدسى : « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ،

---

(١) الإمام البخارى جـ ١ ص ١٢

(٢) النسائى جـ ٨ ص ١٠٥

(٣) رواه مسلم فى صحيحه .

(٤) دراسات فى الثقافة الإسلامية ص ٣٢٥ بتصرف .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الأوسط الجامع لأحكام القرآن جـ ١٣ ص ٣٤٨

ولم يستطل بها على خلق ، ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب » .

هذا أثر الصلاة فى نفس المسلم ، وتأثيرها الخلق على سلوكه ومهمتها لترشيد أخلاقه ، وتسديد خطاه ، فإن لم يكن لها هذا التأثير المفروض فيها ، فهى ليست صلاة وستلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجهه كما جاء فى الحديث .

وعن الزكاة يقول تبارك وتعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والذين ليست لهم أموال يتصدقون بها شرع لهم الإسلام زكاة من أخلاقهم ، فإن تبسمك فى وجه أخيك صدقه ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى الصحراء صدقه ، وإماطتك الأذى عن الطريق والشوك والعظم صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر صدقة ، وكلمة طيبة صدقة »

وعن الصوم يقول جل وعلا : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

ويقول الرسول — عليه الصلاة والسلام : « ليس الصيام من الأكل والشرب : إنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابك أحد فقل « إنى صائم ويقول أيضاً : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

وعن الحج يقول عز وجل : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج ، فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج » .

وفى الحديث النبوى الشريف : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وقال « غفر له ماتقدم من ذنبه » وفيه أيضاً : « بر الحج ، أطعام الطعام ، وطيب الكلام ، وإفشاء السلام » وفيه كذلك

« أن الحج يهدم ما كان قبله ، والحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة » .

وهناك عيد الفطر بعد الفراغ من الصوم ، وعيد الأضحى خلال أيام الحج :

يقول الرسول — ﷺ — عنهما : « أما عيد الفطر فصلاة وصدقة، وأما عيد النحر فصلاة ونسك، والصدقة والنسك هما إطعام الطعام للفقراء فى هذين العيدين أى إشراك لهم فى فرحة العيدين ومسرتهما وهى صورة من الصور الرائعة لمكارم الأخلاق فى الإسلام .

إنها مواسم ومواقف تتكرر للتذكير والتطبيق ، فقد ينسى الإنسان أو يسهو أو يغلب على أمره ، فيجد فى الصلاة الخاشعة ، والزكاة المخلصة، والصوم الصحيح ، والحج المبرور تذكارا له نحو مكارم الأخلاق[1] .

٧ — تفصيل الأخلاق :

ليس هناك شيء أجمع للأخلاق العظيمة من القرآن الكريم لأنه نزل لإصلاح حال الفرد والجماعة ، لقد بين القرآن الكريم جميع الخصال الحميدة فى أساليب متنوعة ، تارة فى أسلوب الأمر للنبى — ﷺ — باعتباره قدوة لجميع المسلمين ، وتارة فى أسلوب الأمر لجميع المؤمنين ، وتارة فى أسلوب ترغيب وترهيب ، وتارة فى أسلوب تهذيب وتأديب ، إلى غير ذلك من الأساليب القرآنية فى باب الأخلاق والرسول ﷺ وهو القدوة الحسنة للمسلمين ، كان فى القمة من الأخلاق فقد سئلت السيدة عائشة — رضى الله عنها — عن خلق رسول الله — ﷺ — فقالت كان خلقه القرآن » .

---

(١) انظر محاضرات فى الثقافة الإسلامية أحمد محمد جمال ص ١٤٧ ، ١٤٨ دار الكتاب العربى ١٩٨٣ .

إنها إجابة دقيقة مختصرة شاملة ، ضمت فى معانيها منهج القرآن الشامل ومبادىء الأخلاق العظيمة الفاضلة .

حقاً إن النبي ﷺ كان الترجمان الحي لفضائل القرآن يكفيه عليه الصلاة والسلام فخراً وشرفاً وخلوداً أن يعلن عن نفسه أن الله عز وجل صنعه على عينه ، وأدبه فأحسن تأديبه ليكون دائماً كالعافية للأبدان ، والشمس للأكوان ، والبدر المتألق فى بحار الظلمات فقال ﷺ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »[1] .

أمثلة على ذلك :

من الآيات التى جمعت كثيراً من أخلاق المؤمنين ، وجعلت هذه الأخلاق علامة على إيمانهم قوله عز وجل : « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »[2] .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب ... »[3]

---

(١) تربية الأولاد فى الإسلام جـ ٢ ص ٦٣٥

(٢) المؤمنون : ١ — ١١

(٣) الحجرات : ١١

١ — خلق التوكل على الله تعالى

يعتبر التوكل على الله تعالى أثر من آثار الإيمان وخلق من الأخلاق الإسلامية التى يجب أن يتحلى بها المسلم فى حياته ، بل ويجب أن يكون خلقاً له .

فالمسلم يؤمن بأن الله — عز وجل — بيده تصاريف الحياة وبيده النفع والضر يترك الأمر إليه ويرضى بمشيئته ، فلا يفزعه المستقبل وما يخبئه له من مفاجآت ، ويستعيض عن الخوف والفزع بسكينة واطمئنان إلى عدل الله تعالى ورحمته . ولهذا نجد الإسلام يقر بأن الإيمان يجب أن يصاحبه التوكل على الله تعالى .

قال عز وجل : « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين »(١) ، وقال تبارك وتعالى : « الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون »(٢) .

كذلك يحمل الإسلام البشرى للمتوكلين على الله ويعدهم الفضل العظيم من الله الكريم ونيل بركاته ، انظر إلى هذه الآية الكريمة التى تمسح ما فى نفوس المؤمنين من الخوف ، وتمدهم بقوة روحية يستطيعون بها التغلب على خوفهم وقلقهم قال جل فى علاه : « فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون »(٣) .

ويعد الله تبارك وتعالى بالمعونة والتأييد من يتوكل عليه فى كل أموره « ومن يتوكل على الله فهو حسبه »(٤) .

---

(١) المائدة : ٢٣ (٢) التغابن : ١٣

(٣) الشورى : ٣٦

(٤) الطلاق : ٣ ، وانظر : روح الدين الإسلامى . عفيف طبارة ، ص ١٩٦ ، ١٩٧

فالتوكل عند المسلم إذا هو عمل وأمل ، مع هدوء قلب وطمأنينة نفس واعتقاد جازم أن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين .

والمسلم الذى يدين لله تعالى بالتوكل عليه وتفويض الأمر إليه فى كل شأن من الشئون،لايفهم من التوكل مايفهمه الجاهلون بالاسلام،وخصوم العقيدة الإسلامية من أن التوكل مجرد كلمة تلوكها الألسنة ، ولا تعيها القلوب ، وتتحرك بها الشفاة ولا تفهمها العقول ، أو تترواها الأفكار ، أو هو نبذ الأسباب وترك العمل ،والقنوع بالذل والرضا بالهوان والدون تحت شعار التوكل على الله، بل المسلم يفهم التوكل الذى هو جزء من إيمانه وعقيدته أنه طاعة الله باحضار كافة الأسباب المطلوبة لأى عمل من الأعمال التى يريد مزاولتها ، فلا يطمع فى ثمرة بدون أن يقدم أسبابها لأن هذا سنة الله تعالى فى الكون والمسلم لا يعتقد أبداً أن الأسباب وحدها كفيلة بتحقيق الأغراض ، وإنجاح المساعى ، بل ينظر إلى الأسباب على أنها شىء أمر الله تعالى به فلا بد من طاعته فى هذا كما يطاع فى غيره فما يأمر به وينهى عنه والحصول على النتائج فالمسلم يؤمن تماماً أن أمر هذا يرجع إلى الله — عز وجل — إذ هو القادر على ذلك دون غيره .

والمسلم فى عمله هذا يسلك درب الصالحين،ويمضى على سنن الصديقين، والقدوة فى هذا العمل رسول الله — ﷺ — فعندما جاءه الإذن بالهجرة من الله تعالى أخذ بالأسباب وأعد لها العدة مع التوكل على الله عز وجل فاختار — ﷺ — رفيقه فى السفر وهو سيدنا أبو بكر الصديق — رضى الله عنه ليكون صاحبه فى طريقه إلى الهجرة ، كما أنه — عليه الصلاة والسلام أعد الزاد للسفر من طعام وشراب وهذا ماقامت به السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق — رضى الله عنهما — ، كذلك أعد صلوات الله وسلامه عليه الراحلة للركوب عليها فى هذا السفر الطويل ، كما أحضر

ﷺ الخبير بمسالك الطرق ليكون دليلا فى هذه الرحلة ، كما أمر عليه الصلاة والسلام ابن عمه على ابن طالب رضى الله عنه أن ينام على فراشه تمويها على العدو المتربص أمام المنزل ليفتك به ، كذلك دخوله غار ثور واستتاره عن أعين طالبيه الناقمين عليه وعندما قال له أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لو أن أحدهم نظر تحت قدمه لأبصرنا يارسول الله قال له: ماظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟

فهذا العمل من الرسول ﷺ ما هو إلا أخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله عزوجل والتوكل عليه وهذا يظهر بوضوح فى قوله عليه الصلاة والسلام لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه عندما ساوره الخوف : « لاتحزن إن الله معنا » .

ومن خلال هذا الهدى النبوى والتعليم المحمدى يقتبس المسلم نظرته إلى الأسباب ، فليس هو فيها مبتدعاً ولامتنطعاً وإنما هو مقتد برسول الله ﷺ ومؤتس قال عزوجل : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ... »[1] .

وهكذا يعيش المسلم من خلال هذا الخلق الإسلامى وهو التوكل على الله تعالى فيغذى عقيدته وينمى خلقه فينظر فى قول الله تعالى : « وتوكل على الحى الذى لايموت »[2] ، وقوله عزوجل : « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »[3] وقوله : « أن الله يحب المتوكلين »[4] ، وقول رسوله ﷺ : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطاناً »[5] .

---

(١) الأحزاب : ٢١ (٢) الفرقان : ٥٨
(٣) آل عمران : ١٧٣ (٤) آل عمران : ١٥٩
(٥) صحيح الترمذى .

وقوله عليه الصلاة والسلام فى السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب : « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون »[1] فالتوكل على الله تعالى فى الإسلام هو زاد روحى للتغلب على الخوف والقلق وهو الذى يعطى المؤمن بسمة أمام أحلك الساعات التى تمر به ويهبه سكينة النفس التى حرم منها كثير من سكان هذه المعمورة .

والإنسان لا تطيب حياته ولا يسعد بها إلا إذا كان متمتعا بسكينة النفس وطمأنينة القلب ، وراحة البال ، وعافية البدن وسبيل ذلك أن يثق بالله ويحسن الظن به ، ويتوكل عليه ، ويرد أمره كله إليه ، ولذلك كان التوكل على الله تعالى ضرورة من ضرورات الحياة لا يستغنى عنها أحد من الناس سواء كان حاكما أو محكوما ، رجلا أو امرأة عاملا أو موظفاً ، تاجراً أو مزارعاً ، مهندساً أو طبيباً لحاجة هؤلاء جميعاً إلى يد قوية تعينهم إذا أرادوا عملا ، وتمسح آلامهم إذا أخفقوا .

كما أن التوكل على الله تعالى ثمرة من ثمرات الإيمان قال تعالى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون »[2] .

كما أن الرسول ﷺ جعله شعاراً للمؤمن فأرشده إلى أدعية يدعو بها فى الصباح والمساء وحين يخرج من بيته أو يأوى إلى فراشه لما فى هذه الأدعية من إيقاظ للقلب وتوجيه النفس إلى الله فى كل حال فعن أم سلمة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال : « باسم الله توكلت على الله ، اللهم إنى أعوذ بك أن أضل وأضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل بى وقال عليه الصلاة والسلام : « من

---

(١) متفق عليه .

(٢) الأنفال : ٢

قال يعنى إذا خرج من بيته — بإسم الله توكلت على الله ولا حـــول ولاقوة إلا بالله يقال له : هديت وكفيت ووقيت وتنحى منـك الشيطان »[١] .

فهم خاطىء :

هنـــاك فريق من الناس يفهمون فكرة التوكل على الله تعالى فهما خاطئاً بعيداً عن الحق والصواب ويظنون أن التوكل ينافى العمل والأخذ بالأسباب والوسائل وهذا الفهم الخاطىء يـبرأ منه الإسلام ، لأنه فهم يدعو إلى الخمول والـكسل وتدمير الحياة ولو كان التوكل كما يظنون ينافى العمل والأخذ بالأسباب لما طالب الله به عباده فى قوله تعـالى : « هو الذى جعل لـكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور »[٢] .

والرسول ﷺ كان أفضل المتوكلين ، فـكان يلبس فى الجهاد لأمة الحرب ، ويختبىء فى الغار حذراً من الأعداء ، ويعد العدة لـكل طارىء جاء رجـل إلى رسول الله ﷺ وأراد أن يترك ناقتـه على باب المسجد دون أن يعقلها ، فقال : أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟ فقال النبى ﷺ : « أعقلها وتوكل »[٣] .

وقد رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوماً توهموا أن التوكل هو ترك مباشرة الأسباب فأعرضوا عن العمل وركنوا إلى العجز والـكسل ، فقال لهم « ما أنتم » ؟ فقالوا : متوكلون ، قال : كـذبتم ما أنتم

---

(١) سنن أبى داود . (٢) الملك : ١٥

(٣) رواه الترمذى .

إلا متواكلون ، إنما التوكل رجل ألقى حبه فى الأرض ثم توكل على الله[١] .

ومثل من يترك العمل راجياً أن يحصل على مايريد كمن يريد أن يطير فى الجو بلاجناح أو يريد الولد بغير زواج . أويريد تحريك الآلات بغير وقود .

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجرى على اليبس

وهذا الفهم الخاطىء للتوكل قد دحضه القرآن الكريم فى قول الله عزوجل : « وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين »[٢] .

فالآية الكريمة تبين أن التوكل على الله تعالى يجب أن تسبقه المشاورة مع أهل الرأى فى الطريق الذى يجب سلوكه ، ثم العزم الصادق فى السير على الطريق الذى استقرت المشاورة عليه ، وبعد ذلك يأتى التوكل على الله تعالى لنيل النجاح والفلاح .

ومن هنا فلامكان تحت الشمس للخاملين ، ولامكان على هذه الأرض للكسالى الذين لايأخذون بالأسباب ، ولايلجون معترك الحياة بالعمل والجد والاجتهاد فى ظل روح الإيمان والعقيدة الراسخة .

٢ — خلق الرحمة

تعتبر الرحمة خلق من أخلاق المسلم وعلامة مميزة له ، لأن الرحمة تنشأ من صفاء النفس وطهارة الروح ، والمسلم بقيامه بفعل الخير والعمل الصالح

---

(١) عقيدة المسلم عبد الحميد السايح ١٨٩
(٢) آل عمران : ١٥٩

وبعده عن الشر، واجتناب المفاسد يكون دائما فى طهارة ونقاء وصفاء ، ومن كانت هذه صفته فإن الرحمة لا تفارق قلبه ، وعلى ذلك فالمسلم يحب الرحمة ويبذلها ويوصى بها حباً لله عز وجل وطاعة وتقربا إليه سبحانه وتعالى ، بل ويدعو إليها كذلك مصداقاً لقوله الله عز وجل : « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة »[1] وعملا بقول الرسول ﷺ : « إنما يرحم الله من عباده الرحماء »[2] وقوله عليه الصلاة والسلام : « إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »[3] .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «من لا يرحم لا يرحم» وقوله أيضا: « لا تنزع الرحمة إلا من شقى » وقوله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا شتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[4] .

ولا تقتصر الرحمة على الآثار الداخلية فى الانسان فقط بل لها أثارها الخارجيه التى تظهر وتتحقق فى عالمنا المشاهد فمساعدة الضعيف رحمة ، واطعام الجائع رحمة ، وكسوة العارى رحمة ، وإغاثة الملهوف رحمة ، ومدواة المريض رحمة ، ومواساة الحزين رحمة ، والعفو عن المخطىء رحمة » .

---

(١) سورة البلد : ١٧ ، ١٨
(٢) صحيح البخارى
(٣) الطبرانى
(٤) صحيح مسلم

من مظاهر الرحمة :

روى الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من شدة العطش ، فقال : لقد بلغ بهذا مثل الذى بلغ بى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا : يارسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً ؟ فقال: « فى كل كبد رطبة أجر » .

فنزول الرجل فى البئر وتحمله المشقة والتعب فى اخراج الماء وسقى الكلب العطشان ، كل هذا يعتبر من مظاهر الرحمة فى قلب الرجل .

كما روى الإمام البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبى يوسف القين ، وكان ظئراً لإبراهيم فأخذ الرسول ﷺ إبراهيم ولده وقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه : وأنت يارسول الله ؟ فقال : يا ابن عوف إنها الرحمة ! ثم قال : إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وانا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .

فهذا العمل من الرسول ﷺ من زيارة ابنه الصغير وهو فى بيت مرضعه ، ثم تقبيله إياه وشمه « ثم عيادته له وهو مريض يجود بنفسه » ثم ما أرسل عليه من دموع الحزن ، كل ذلك يعتبر من مظاهر الرحمة فى القلب .

كما روى أيضا الإمام البخارى عن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنى لأدخل فى الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه » .

فعدول الرسول ﷺ عن إطالة الصلاة، التى عزم على إطالتها ووجد الأم من بكاء طفلها، ما هو إلا مظهر من مظاهر الرحمة التى أودعها الله سبحانه وتعالى فى قلوب الرحماء من عباده المؤمنين.

كما روى أن زين العابدين علي بن الحسين رضى الله عنهما كان فى طريقه إلى المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه، فنهاهم وكفهم عنه رحمة به ثم قال: ياهذا! أنا أكثر مما تقول، وما لا تعرفه عنى أكثر مما تعرفه، فإن كان لك حاجة فى ذلك ذكرته، فخجل الرجل واستحيا فخلع عليه زين العابدين قميصه، وأمر له بألف درهم.

فهذا العفو، وهذا الإحسان من حفيد رسول الله ﷺ ورضى الله عنه لم يكونا إلا مظهراً من مظاهر الرحمة التى أودعها الله عز وجل فى قلبه.

ولما فتح رسول الله ﷺ القموص حصن بنى أبى حقيق من خيبر أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حيىّ بن أخطب وبأخرى، فمر بهما رضى الله عنه على قتلى يهود، فلما رأتهم الجارية التى مع صفية صاحت. وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها فلما رأى الرسول ﷺ بتلك الجارية ما رأى قال: «أنزعت منك الرحمة يابلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما»[1]، وقال ﷺ: «عذبت امرأة فى هرة، أو ثقتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من حشائش الأرض حتى ماتت»[2] وأخبر مقرراً الرحمة وآثارها فى أهلها فقال: «بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل، فنزعت موقها فسقته، فغفر لها به»[3].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٤ ١٩٧

(٢) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان جـ٣ : ٧٣

(٣) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان جـ٣ : ٧٥

(٣ ــ خلق الحياء)

الحياء لغة : تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به .

وفى اصطلاح الشرع : خلق يحول بين الشخص وفعل ما يذم به .

والحياء باعثه إحساس دقيق وشعور رقيق يبدو فى العين مظهره وعلى الوجه أثره من حرمه حرم الخير كله ومن تحلى به ظفر بالعزة والكرامة ونال الخير كله .

والمسلم انسان عفيف حيى والحياء خلق له ، لأن الحياء من الإيمان ، والإيمان عقيدة المسلم وقوام حياته حيث قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »[١] وقال عليه الصلاة والسلام : «الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»[٢] .

والسر فى كون الحياء من الإيمان أن كلا منهما داع إلى الخير صارف عن الشر مبعد عنه ، فالايمان يحث المؤمن على فعل الطاعات وترك المعاصى والمنكرات والحياء يمنع صاحبه من التقصير فى شكر الله عز وجل ، ومن التفريط فى حق صاحب الحق ، كما يمنع الحيى من فعل القبيح أو قوله اتقاء للذم والملامة .

ومن هنا كان الحياء خيراً كله ولا يأتى إلا بخير كما أخبر بذلك الرسول ﷺ حيث قال : « الحياء لايأتى إلا بخير »[٣] « والحياء خير كله »[٤] .

---

(١) البخارى ومسلم كتاب الإيمان (٢) رواه الحاكم
(٣) رواه الشيخان (٤) مسلم كتاب الايمان

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء — ينصحه ويخوفه — فقال رسول الله ﷺ «دعه فإن الحياء من الإيمان»[1] .

والحياء زينة النفوس يصدها عن فعل مايعيبها ويحملها على التحلى بجميل الخصال ومن حكم المتقدمين فى ذلك : «من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه» كما أنه فضيلة من فضائل الإسلام وخلق من أخلاق رسولنا ﷺ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه»[2] .

وخلق الحياء فى المسلم غير مانع له أن يقول حقا أو يطلب علماً ، أو يأمر ، بمعروف أو ينهى عن منكر ، فقد شفع مرة عند رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضى الله عنهما فلم يمنع الحياء رسول الله ﷺ أن يقول لأسامة فى غضب : «أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»[3] ولم يمنع الحياء أم سليم الأنصارية أن تقول يارسول الله إن الله لايستحى من الحق فهل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت ؟ فيقول لها الرسول ﷺ ولم يمنعه الحياء نعم إذا رأت الماء»[4]

وخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرة فعرض لغلاء المهور فقالت له امرأة أيعطينا الله وتمنعنا ياعمر ألم يقل الله تعالى : «وآتيتم إحداهن

---

(١) البخارى كتاب الإيمان .

(٢) مسلم كتاب الفضائل .

(٣) متفق عليه .

(٤) صحيح الإمام البخارى .

قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » ، فلم يمنعها الحياء أن تدافع عن حق نسائها ولم يمنع عمر رضى الله عنه أن يقول معتذرا : كل النـــاس أفقه منك ياعمر .

كما خطب مرة فى المسلمين وعليه ثوبان فأمر بالسمع والطاعة فنطق أحد المسلمين قائلا : فلا سمع ولا طاعة ياعمر عليك ثوبان وعلينا ثوب واحد فنادى عمر بأعلى صوته : ياعبد الله بن عمر ، فأجابه ولده : لبيك أبتاه ، فقال له أنشدك الله أليس أحد ثوبى هو ثوبك أعطيتنيه؟ قال بلى والله ، فقال الرجل الآن نسمع ونطيع ياعمر فلم يمنع الحيـاء الرجل أن يقول ، ولا عمر أن يعترف .

والمسلم يستحى من الله عز وجل فلا يقصر فى طاعته ، ولا فى شكر نعمته ، فدليل الحياء من الله سبحانه وتعالى أن يوجه المسلم نفسه إلى الخير المحض فيقوم بوظائف العبودية من صلاة وصيام وزكاة وحج ويصرف أعضاءه فيما خلقت له ، فلا تستعمل العين فى النظر إلى ماحرم الله ولا اللسان فى القذف والغيبة والنميمة ولا اليد فى البطش والإيذاء ولايدخل فى بطنه حراما ولايتتبع عورات أخوانه المسلمين ولا يضمر لهم سوءا ولا شرا وليس أدلّ على ذلك ماروى عن الرسول ﷺ أنه قال : « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحى يانبى الله والحمد لله قال ليس كذلك ،

ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وماوعى والبطن وماحوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء »[1].

كذلك المسلم يستحى من الخلق فلا يكشف لهم عورة ، ولا يقصر فى

---

(١) الإمام الترمذى كتاب الزهد :

حق وجب لهم عليه ، ولا ينكر معروفا أسدوه إليه ، لا يخاطبهم بسوء ولا يجابهم بمكروه ، يكف الأذى عنهم ويستر مساوئهم ويعفو عن هفواتهم ولا يظهر بمظهر الفجور أمامهم ومن الناس من يتلذذ بذكر قسوته وعصيانه فيذيع لجلسائه ماستره الله عليه فيعرض نفسه للحرمان من عفو الله ورحمته وفى هذا يقول الرسول ﷺ : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح فيكشف ستر الله عليه .

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله عوراتنا مانأتى منها ومانذر ؟ قال : احفظ عورتك إلا من زوجك أو ماملكت يمينك ، قلت : يانبى الله إذا كان القوم بعضهم فى بعض ؟ قال : إن استطعت أن لايراها أحد فلا يرينها ، قلت : إذا كان أحدنا خاليا ؟ قال : فالله أحق أن يستحيا منه من الناس[1] .

وهذا حال كثير من شباب اليوم ذهب ماء الحياء من وجوههم فلاهم لهم إلا التظاهر بفعل المنكرات والتفاخر بما ارتكبوه من معاصى وموبقات ومن خلع برقع الحياء عن وجهه فقد خلع ثوب الإيمان عن نفسه فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الحياء شعبة من الإيمان ولا إيمان لمن لاحياء له » .

كذلك يستحى المسلم من نفسه فلا يعمل عملا فى السر يستحى منه فى العلانية فإن النفس متى أشربت الفضيلة أصبحت الفضيلة عادة لها تقودها إلى المحاسن وتنأى بها عن الدنايا .

(١) صحيح الإمام البخارى .

ورحم الله إمرأة كانت قد فقدت طفلها فوقفت على قوم تسألهم عن طفلها ، فقال أحدهم : تسأل عن ولدها وهى متنقبة ، فسمعته فقالت: لأن أرزأ فى ولدى خير من أرزأ فى حيائى أيها الرجل .

ونقيض الحياء البذاء ، وهو فحش فى القول والفعل، وجفاء فى الكلام والمسلم لا يكون فاحشا ولا متفحشا، ولا غليظا ولا جافيا ، إذ هذه صفات أهل النار، والمسلم من أهل الجنة إن شاء الله تعالى ، فلا يكون من أخلاقه البذاء ولا الجفاء ويشهد لهذا قول الرسول ﷺ الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار[1] .

٤ — الإحسان

ومن الأخلاق الإسلامية خلق الإحسان ، وهو خلق فاضل يجب أن يتخلق به المسلم ، والمسلم لا ينظر إلى الإحسان على أنه خلق فاضل وكفى بل ينظر اليه على أنه جزء من عقيدته وإسلامه، حيث أن الدين الإسلامى يبنى أساسا على أمور ثلاثة وهى : الإسلام والإيمان والإحسان كما بين ذلك رسول الله ﷺ لسيدنا جبريل عليه السلام فى الحديث الذى رواه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان.

والإحسان يشمل كل خير ، وكل معاملة ترقى وترفع من شأن المسلم وتهذب نفسه وتقربه من خالقه عز وجل وعلى هذا المعنى جاءت وصايا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فى الدعوة إلى الإحسان والترغيب فى إتيانه فقد بين القرآن الكريم أن الإحسان يجب أن يكون الواجب الطبيعى للمسلم بل للإنسان عامة ، فكما أن الله تعالى أحسن اليـــه بنعمه وفضله عليه أن يحسن بهذه النعم إلى خلق الله ، قال عز وجل : «وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين»[2]

---

(١) رواه الامام أحمد بسند صحيح فى مسنده (٢) القصص : ٧٧

كما بين القرآن الكريم أن الإحسان تعود منفعته إلى المحسن نفسه فقال عز من قائل : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها »[١] .

كذلك وضح القرآن الكريم أن الله عز وجل يأمر بالإحسان ويحث عليه فقال تعالى: « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى »[٢].

وقال سبحانه : « وقولوا للناس حسنا »[٣] وقال تبارك وتعالى : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »[٤] وقال رسول الله ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته »[٥] .

كما أن القرآن الكريم رفع منزلة الإحسان وقرنه بالإخلاص لله عز وجل ووصفها بأنها أرفع ما يتحلى به الإنسان المسلم ، قال عز وجل : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن »[٦].

كما بين القرآن الكريم ما يترتب على الإحسان فقال تعالى : « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى »[٧] والمعنى فقد تعلق بأوثق الأسباب التى توصله إلى رضوان الله تعالى . كما وعد الله عز وجل عباده المحسنين بحسن المثوبة والأمن والأمان يوم القيامة فقال : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون »[٨] .

والإحسان فى العبادات : أن تؤدى العبادة لله عز وجل أيا كان

---

(١) الإسراء : ٧ (٢) النحل : ٩٠
(٣) البقرة : ٨٣ (٤) البقرة . ١٩٥
(٥) صحيح الإمام مسلم .
(٦) النساء : ١٢٥ (٧) لقمان : ٢٢
(٨) النمل : ٨٩

نوعها من صلاة أو صيام ، أو حج أو زكاة أو غيرها أداء صحيحاً ، باستكمال شروطها وأركانها واستيفاء سننها وآدابها ، وهذا لا يتم للعبد فى أدائه للعبادة إلا إذا كان مستشعراً بمراقبة الله عز وجل حتى لكأنه يراه تعالى ويشاهده ويطلع عليه وينظر إليه فبهذا الفعل من المسلم يكون الإحسان فى العبادة والإتقان فيأتى بها على الوجه المطلوب ويؤيد هذا قول الرسول ﷺ فى الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »(١) .

صفات المحسنين :

من صفات المحسنين فى القرآن الكريم أنهم يقومون أكثر الليل من أجل الصلاة ويطلبون المغفرة من الله عز وجل فى أواخر الليل ، ويجعلون نصيبا فى أموالهم للسائل والمحروم تقربا إلى الله سبحانه وتعالى قال عز وجل : « إن المتقين فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »(٢) :

كما أن الجهاد فى سبيل الله تعالى ، بالنفس أو بالمال ، هو من الإحسان قال تبارك وتعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »(٣) .

والصبر على المكاره هو أيضا من الإحسان ، قال تعالى : « واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين »(٤) والعفو أيضا من الإحسان قال عز وجل : « فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين »(٥) .

---

(١) صحيح الإمام البخاري

(٢) الذاريات : ١٥ — ١٩

(٣) العنكبوت ٦٩

(٤) هود ١١٥

(٥) المائدة ١٣

وإتباع ما جاء به سيـــدنا محمد ﷺ هو من الإحسان أيضا قال جل وعلا : « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ، لهم مايشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين »[1] وسيدنا محمد ﷺ هو الذى جاء بالصدق وأتباعه هم الذين صدقوا برسالته وساروا على هديه واتبعوا سنته . كما أن الله سبحانه وتعالى مع المحسنين ومن كان الله معه فلا يضره شيء على الإطلاق قال عز وجل : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »[2] .

وأما الإحسان فى المعاملات : فهو للوالدين برهما الذى هو طاعتهما ، وإيصال الخير إليهما ، وكف الأذى عنهما ، والدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما قال تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »[3] .

والإحسان للأقارب ببرهم ورحمتهم ، والعطف عليهم والشفقة بهم ، وفعل مايجمل فعله معهم وترك مايسيء إليهم ، أو يقبح قوله أوفعله معهم . والإحسان لليتامى هو بالمحافظة على أموالهم ، وصيانة حقوقهم ، وتأديبهم وتربيتهم ، وترك أذاهم ، وعدم قهرهم ، وبالهش فى وجوههم ، والمسح على رؤوسهم .

والإحسان للمساكين : بسد جوعتهم ، وستر عورتهم بالحث على

---

(١) الزمر ٣٣ ، ٣٤
(٢) النحل ١٢٨
(٣) الإسراء : ٢٣ ، ٢٤

إطعامهم وكسوتهم وعدم المساس بكرامتهم فلا يحتقرون ولا يزدرون ولا ينالون بسوء أو مكروه .

والإحسان لابن السبيل : بقضاء حاجته ، وسد خلته ، ورعاية ماله ، وصيانة كرامته ، وبإرشاده إن طلب ذلك ، وهدايته إن ضل الطريق .

والإحسان للخادم : بإتيانه أجره قبل أن يجف عرقه ، وبعدم إلزامه ما لا يلزمه أو تكليفه بما لا يطيق ، وصون كرامته ، واحترام شخصيته فإن كان من خدم البيت فإطعامه مما يطعم أهله ، وكسوته مما يكسون .

والإحسان بعموم الناس : بالتلطف فى القول لهم ، ومجاملتهم فى المعاملة والمخاطبة بعد أمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وبإرشاد ضالهم وتعليم جاهلهم ، والاعتراف بحقوقهم ، وكف الأذى عنهم وعدم إرتكاب ما يضرهم أو فعل ما يؤذيهم .

وقد جمع القرآن الكريم ذلك كله فى آية واحدة فقال عز وجل : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً »(١) .

والإحسان للحيوان : يكون بإطعامه إن جاع ، ومداواته إن مرض ، وعدم تكليفه ما لا يطيق وحمله على ما لا يقدر ، والرفق به إن عمل ، وإراحته إن تعب .

والإحسان فى الأعمال البدنية : يكون بإجادة العمل ، وإتقان الصنعة

---

(١) النساء ٣٦

وتخليص الأعمال من الغش والرياء إمتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا »[1] .

من مظاهر الإحسان :

١ — لما فعل المشركون بالرسول صلى الله عليه وسلم ما فعلوا يوم أحد من قتل عمه حمزة رضى الله عنه والتمثيل به ، ومن كسر رباعيته ، وشج وجهه صلى الله عليه وسلم طلب إليه أحد الأصحاب أن يدعو على المشركين الظالمين فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » وهذا من قمة مظاهر الإحسان .

٢ — غاظ أحد السلف غلام له غيظا شديداً فهم بالإنتقام منه، فقال الغلام : والكاظمين الغيظ ، فقال الرجل : كظمت غيظى ، فقال الغلام : والعافين عن الناس ، فقال الرجل عفوت عنك ، فقال الغلام : والله يحب المحسنين فقال : اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى .

٣ — قال عمر بن العزيز رضى الله عنه يوماً لجاريته : روحينى حتى أنام فروحته فنام ، وغلبها النوم فلما انتبه أخذ المروحة يروحها بها فلما انتبهت ورأته يروحها صاحت ، فقال : إنما أنت بشر مثلى أصابك من الحر ما أصابنى وأحببت أن أروحك كما روحتنى .

---

(١) صحيح الإمام مسلم ،

٥ — خلق الصدق

يعتبر الصدق أساساً من أسس الفضائل التى تبنى عليها المجتمعات ، وعنواناً لرقى الأمم والأفراد ، إذ الصدق يهدى إلى البر : والبر يهدى إلى الجنة أسمى غايات المسلم ، وأقصى أمانيه ، والكذب وهو خلاف الصدق وضده يهدى إلى الفجور ، والفجور يهدى إلى النار ، والنار شر ما يخافه المسلم ويتقيه .

فالصدق من ضرورات المجتمع وينبغى أن ينال حظاً عظيما من العناية والرعاية فى الأسرة والمدرسة والمصنع والجامعة والشارع ، لأنه يحصل منه الخير الكثير ، فيه ترد الحقوق إلى أصحابها ، وبه يحصل الناس على الثقة فيما بينهم ،

والمسلم لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب أن يتخلق به وكفى ، بل إنه ينظر إلى أبعد من ذلك ، حيث يعتبر الصدق من متممات إيمانه ، ومكملات إسلامه . إذ أمر الله عز وجل به ، وأثنى على المتصفين به ، كما أمر به الرسول ﷺ ودعا إليه وحث عليه . فقال جل وعلا : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »[1] وقال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً »[2] والقول السديد هو القول الصادق الذى يراد به الوصول إلى الحق والصواب .

وقال سبحانه وتعالى — فى الثناء على أهله : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »[3] .

---

(١) التوبة : ١١٩ (٢) الأحزاب : ٧٠

(٣) الأحزاب : ٢٣

وقال أيضاً تبارك وتعالى : (والصادقين والصادقات)[1] .

وقال رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الصدق : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »[2] .

أنواع الصدق :

١ — صدق الوعد : وهو من الصفات الحميدة التى ينبغى أن يتحلى بها المسلم لأنها سبب من أسباب النجاح فى هذه الحياة ، وهى تعتبر اليوم من أبرز صفات القوم المتحضرين الذين يحرصون عليها أشد الحرص والقرآن الكريم دعا إلى هذه الصفة الحميدة فقال عز وجل يمدح سيدنا إسماعيل عليه السلام بقوله : « واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا »[3] .

وروى الترمذى فى صحيحه عن عبد الله بن الحسناء قال : بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث . وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاثة أيام فجئت فإذا هو فى مكانه فقال : ياأخى لقد شققت على أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك » .

فالمسلم إذا وعد أحداً أنجز له ما وعده به ، إذ خلف الوعد من آيات النفاق كما جاء فى الحديث الشريف .

---

(١) الأحزاب : ٣٥

(٢) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .

(٣) مريم : ٣٥

٢ — صـــدق الأمانة :

ومن أنواع الصدق الأمانة ، وهى من أرفع الصفات فى الإنسان المسلم ومن أقوى الدعائم التى يقوم عليها مجتمع سليم ، ويحصل منها الخير ، لهذا نرى الإسلام يعتبرها من صفات المؤمنين فيقول عز وجل : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون »[١] .

فالمسلم إذا اؤتمن على شىء فلا بد أن يصدق فى أمانته ، إذ الخيانة آية من آيات النفاق كما قال رسول الله ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان »[٢] .

٣ — صدق المعاملة :

فالمسلم إذا عامل أحداً من النـــاس صدقه فى معاملته ، فلا يغش ، ولا يخدع ، ولا يزور ، ولا يغرر بحال من الأحوال .

فقد قال ﷺ وقد مر على صبرة — كيس كبير — طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء — المطر — يا رسول الله ، قال : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا »[٣] .

---

(١) المؤمنون : ٨ ، المعارج : ٣٢

(٢) رواه مسلم فى صحيحه والبخارى فى صحيحه .

(٣) الإمام مسلم فى صحيحه .

٤ — صدق الحديث :

فالمسلم إذا حدث لا يحدث بغير الحق والصدق ، وإذا أخبر فلا يخبر بغير ما هو الواقع فى نفس الأمر ، إذ كذب الحديث من النفاق وآياته والعياذ بالله كما مر فى الحديث الشريف .

٥ — صدق الحال :

لأن المسلم لا يظهر فى غير مظهره . ولا يظهر خلاف ما يبطنه ، فلا يلبس ثوب زور ، ولا يرائى ، ولا يتكلف مالا ليس له .

لقول الرسول ﷺ «المتشبع بمالم يعط كلابس ثوبى زور»[1]

والمعنى : أن المتزين والمتجمل بما لا يملك ليرى أنه غنى يكون كمن يلبس ثوبين خلقين ليتظاهر بالزهد وهو ليس بزاهد ولا متقشف .

هذا وللصدق ثمرات عظيمة يجنيها الصادقون بصدقهم منها : —

١ — الفوز بمنزلة الشهداء لقول الرسول ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[2] .

٢ — البركة فى الكسب وزيادة الخير ، لقوله عليه الصلاة والسلام : «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»[3] .

٣ — راحة الضمير وطمأنينة النفس ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم: «الصدق طمأنينة»[4] .

---

(١) مسلم فى صحيحه . (٢) صحيح الإمام مسلم .
(٣) صحيح الإمام البخارى .
(٤) صحيح الإمام الترمذى .

٤ — النجاة من المكروه ، فقد حكى أن هارباً لجأ إلى أحد الصالحين وقال له : أخفنى عن طالبى، فقال له: نم هنا . وألقى عليه حزمة من خوص، فلما جاء طالبوه وسألوا عنه قال لهم : هاه ذا تحت الخوص ، فظنوا أنه يسخر منهم فتركوه ، ونجا ببركة صدق الرجل الصالح .

أمثلة رفيعة من الصدق :

١ — روى الإمام البخارى رحمة الله عليه ، أنه خرج يطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت منه فرسه ، وهو يشير إليها برداء كأن فيه شعيراً فجاءته فأخذها ، فقال الإمام البخارى : أكان معك شعير؟ فقال الرجل : لا . ولكن أوهمتها ، فقال الإمام البخارى رحمه الله تعالى : لا آخذ الحديث ممن يكذب على البهائم . فهذا العمل من إمام الحديث يعتبر مثلا عالياً فى مجال الصدق .

٢ — خطب الحجاج بن يوسف الثقفى يوماً ، فأطال الخطبة فقال أحد الحاضرين : الصلاة ! فإن الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرك ، فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون . فقال الحجاج بن يوسف الثقفى إن أقر بالجنون خلصته من سجنه ، فقال الرجل : لا يسوغ لى أن أجحد نعمة الله التى أنعم بها على وأثبت لنفسى صفة الجنون التى نزهنى الله عز وجل عنها ، فلما رأى الحجاج صدقه خلى سبيله .

فالصدق من ضروريات المجتمع يكفل له الاستقرار ويضمن الثقة بين الأفراد ولهذا دعا إليه القرآن الكريم وحث عليه الرسول ﷺ ، وإذا فقدت هذه الصفة من المجتمع حل محلها الكذب وعدم الثقة وفقد الناس التعاون فيما بينهم .

٦ – خلق الصبر

الصبر من الفضائل الخلقية التي يجب أن يتحلى بها المسلم، إذ هو النفحة الروحية التي يعتصم بها المؤمن فتخفف من بأسائه وتدخل إلى قلبه السكينة والإطمئنان وتكون بلسماً لجراحاته التي يتألم منها، فالمسلم يحبس نفسه على ما تكرهه من عبادة الله وطاعته، ويلزمها بذلك إلزاماً، ويحبسها دون معاصي الله عز وجل فلا يسمح لها باقترافها، ولا يأذن لها في فعلها مهما تاقت لذلك بطبعها، وهشت له، ويحبسها على البلاء إذا نزل بها فلا يتركها تجزع، ولا تسخط. فالصابر يتلقى المكاره بالقبول ويراها من عند الله، وعند التأمل نرى العناية الإلهية تسوق إلينا الشدائد لحكمة عالية، والجاهل هو الذي يضجر ويحزن ويكتئب، أما العاقل فيتلمس وجوه الخير فيما يبتليه الله به من الشدائد)[1].

وعندما يفقد الإنسان الصبر تنهار نفسه، ويصبح عاجزا عن السير في ركب الحياة، ويصبح في حالة سيئة يكفر فيها بالقيم الأخلاقية، بل إنه يصبح عنصر شر وفساد في المجتمع لا نفع ولا خير فيه.

ومن هنا فالصبر يقيه من الانهيار ويعطيه القوة ليسير في ركب الحياة كما أنه علاوة على ذلك يصبح فرداً نافعاً خيراً ينفع المجتمع وينتفع به المجتمع.

ومن أجل ذلك عنى القرآن الكريم بالصبر ومدحه ورفع منزلته كما مدح المتصفين به وأثنى عليهم ثناء عظيماً. قال عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»[2].

---

(١) التصوف الإسلامي د/ زكي مبارك جـ ٢ ص ١٤٩

(٢) آل عمران: ٢٠٠

وقال جل فى علاه : « استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين »[١] .

وقال تبارك وتعالى : « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور »[٢] .

من أجل ذلك أحب الله عز وجل الصابرين ، وأعلن فى كتابه الكريم أنهم ينالون مزيدا من الفضل والرحمة والفوز بنعيم الله فى الدنيا والآخرة .

قال سبحانه وتعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »[٣] .

وقال جل فى علاه : « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون »[٤] .

وقال أيضا : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا »[٥] وهم فوق هذا مؤيدون من الله عز وجل قال تعالى : « واصبروا إن الله مع الصابرين »[٦] .

كما أنه سبحانه وتعالى يخولهم إمامة الناس إلى مايحبه ويرضاه قال عز وجل : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون »[٧] .

كما أن الصبر يعتبر من الخصال العظيمة التى يجب أن يتصف بها المؤمن

---

(١) البقرة : ١٥٣ (٢) لقمان : ١٧
(٣) الزمر : ١٠ (٤) النحل : ٩٦
(٥) الإنسان : ١٢ (٦) الأنفال : ٤٦
(٧) السجدة : ٢٤

قال تعالى : « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عـزم الأمور »[١] والمعنى أن الصبر والتقوى من صواب التدبير الذى ينبغى أن يعزمه كل أحد من الناس .

ولعظم فضيلة الصبر فى القرآن الكريم نجد أن الله تعالى وصف به نبيه أيوب عليه السلام لتحمله الصبر واتصافه به قال عز وجل : « إنـا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب »[٢] .

وقال الرسول ﷺ فى فضيلة الصبر : « الصبر ضياء »[٣] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر »[٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »[٥] .

وقوله ﷺ لابنته وقد أرسلت إليه تطلب حضوره إذ ولدها قد احتضر فقال لرسولها : « أقرأها السلام ، وقل لها : إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، كل شىء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب »[٦] .

---

(١) آل عمران : ١٨٦
(٢) ص : ٤٤
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح البخارى
(٥) صحيح مسلم
(٦) صحيح البخارى

مواطن الصبر :—

للصبر مواطن كثيرة ومتعددة دعا إليها القرآن الكريم وحث عليها : فدعا إلى الصبر في موطن الجهاد قال عز وجل : « قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين »[1] .

ودعا القرآن الكريم إلى الصبر في موطن تحمل أذى الناس فقال سبحانه وتعالى : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين »[2] .

كما دعا القرآن إلى الصبر في موطن العبادة فقال تعالى : « فاعبده واصطبر لعبادته »[3] وقال : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى »[4]

كما دعا القرآن إليه أيضاً في مواطن البلاء والإمتحان الذى يمتحن الله به عباده فقال جل فى علاه : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم »[5] وقال سبحانه وتعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .

أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون »[6] فى هذه الآيات الكريمة يذكر الله الصابرين بأنهم يفوزون بثلاث مزايا

---

(١) البقرة : ٢٤٩ (٢) النحل : ١٢٦
(٣) مريم : ٦٥ (٤) طه : ١٣٢
(٥) محمد : ٣١ (٦) البقرة : ١٥٥ — ١٥٧

لا تتوفر لغيرهم من الناس وهذه المزايا هي :

أولا : « أولئك عليهم صلوات من ربهم » وهذا يعني غفران الله لهم والثناء الحسن عليهم وتشريفه إياهم في الدنيا والآخرة .

ثانيا : « ورحمة » وهي ما يكون لهم في نفس المصيبة من لطف الله تعالى بهم وإحسانه إياهم .

ثالثا : « وأولئك هم المهتدون » أى المهتدون إلى الحق والصواب فيما ينبغي عمله في أوقات الشدائد والمصائب ، فلا يستحوذ الجزع إلى نفوسهم ولا يذهب البلاء بالأمل من قلوبهم[1] .

من هنا كان الصبر عزاء للقلوب المكلومة ، وشفاء للنفوس الحزينة ، ونجاحاً وفلاحاً وصلاحاً للإنسان المسلم في هذه الحياة يعيش المسلم صابراً محتسباً متحملا ، لا يشكو ولا يتسخط ، ولا يدفع المكروه بالمكروه ، ولكن يدفع السيئة بالحسنة ويعفو ويصبر ويغفر فإن جزاءه عظيم قال عز وجل : « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور »[2]

٧ — خلق العدل

من الأخلاق الإسلامية خلق العدل ، وهو خلق عظيم يجب أن يتحلى به المسلم ، لأنه من أوجب الواجبات حيث أمر به رب العزة سبحانه وتعالى في قوله عز وجل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون »[3]

---

(١) أنظر روح الدين الإسلامي عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) الشورى : ٤٣ (٣) النحل : ٩٠

كما أن الله عز وجل يحب أهل العدل حيث قال تبارك وتعالى : « وأقسطوا إن الله يحب المقسطين »[1] والإقساط معناه العدل ومن هنا فالمقسطون هم العادلون ، والعدل مطلوب وواجب فى الحكم قال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »[2] ومطلوب أيضا فى القول قال عز وجل : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى »[3] حتى مع القريب والبعيد، الصديق والعدو العدل أيضا مطلوب ومن هنا فالمسلم يعدل فى قوله وحكمه ، يتحرى العدل فى كل شأن من شئونه حتى يكون العدل خلقا له ، ووصفاً لا ينفك عنه ، فتصدر عنه الأقوال والأفعال عادلة بعيدة من الظلم والجور وبذلك يستوجب محبة الله تعالى ورضوانه وكرامته وتفضله وإنعامه ويستوجب محبة الرسول ﷺ ، الذى أخبر عن كرامة العادلين عند الله عز وجل فقال صلوات الله وسلامه عليه : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا »[4]

وقال عليه الصلاة والسلام فى تكريم أهل العدل .: « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »[5]

---

(١) الحجرات : ٩
(٢) النساء : ٥٨
(٣) الأنعام : ١٥٢
(٤) صحيح الإمام مسلم
(٥) صحيح الإمام البخارى

مظاهر العدل :

١ — العدل مع الله عز وجل ويكون بعدم الاشراك معه فى عبادته وصفاته غيره ، بل لا بد أن يعتقد المسلم بأنه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحـــد ، وأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

٢ — العدل فى الحكم بين الناس باعطاء كل ذى حق حقــــه ، وما يستحقه ، وحينما يكون العدل مرتبطا بالحق فهو أقوى من وشائج الدم والجنس والمصالح قال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على إلا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »[١] وليس هناك أقوى من باعث التقوى لتحقيق العدل بين الناس فالحق أحق أن يتبع .

٣ — العدل بين الزوجات فلا يفضل إحداهن على الأخرى ، بل عليه أن يعدل فى الطعام والشراب واللباس ، والسكن والمبيت فى الفراش ، وأن لا يحيف فى شىء من ذلك ، أو يجور ويظلم إذ حرم الله تعالى ذلك فقال عز وجل : « وإن خفتم إلا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم »[٢] ووصى الرسول ﷺ بهن خيراً حيث قال : خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى »[٣] .

٤ — العدل بين الأولاد فلا يفضل أحدا على أحد ولا يؤثر بعضهم على بعض فإن تفضيل بعض الأولاد على بعض وإيثار بعضهم على بعض يسبب العداوة والبغضاء والشحناء بينهم ولهـــذا قال ﷺ « ساووا بين أولادكم فى العطية ، فلو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء »[٤] .

---

(١) المائدة : ٨

(٢) النساء : ٣

(٣) الطبرانى

(٤) البيهقى وحسنه الحافظ بسنده

• — العدل فى المعتقد فلا يعتقد غير الحق والصدق ، ولا يثنى الصدر على غير ما هو الحقيقة والواقع قال تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا »[١] .

مثل فريد للعدل :

بينما سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالس ، إذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال : يا أمير المؤمنين : هذا مقام العائذ بك ، فقال سيدنا عمر : لقد عذت بمجير ، فما شأنك ؟ قال الرجل : سابقت على فرس إبنا لعمرو بن العاص فسبقته ، فجعل يضربنى بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فبلغ ذلك عمراً أباه فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن فانطلقت منه فهذا الحين جئتك ، فكتب سيدنا عمر رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو أمير على مصر : « إذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان » ، وقال للمصرى : أقم حتى يجىء ، فقدم عمرو بن العاص وشهد الحج ، فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه ، قام المصرى ، فرمى إليه سيدنا عمر بالدرة وضربه فلم ينزع حتى أحب الحاضرون أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر بن الخطاب يقول : أضرب ابن الأكرمين . فقال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال : ضعها على صلعة عمرو . قال : يا أمير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى ، قال أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ، ثم قال سيدنا عمر رضى الله عنه لعمرو بن العاص رضى الله عنه « ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً »

---

(١) النساء : ١

ثمرة طيبة للعدل :

من ثمرات العدل الطيبة فى الحكم إشاعة الطمأنينة والأمن والأمان فى نفوس الناس .

روى أن قيصراً أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رسولا لينظر أحواله ويشاهداً فعاله لما سمعه عنه من العدل والمساواة والتقوى ، فلما دخل الرسول المدينة سأل عن عمر بن الخطاب وقال لمن قابله : أين ملككم ؟ فقالوا : مالنا ملك بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة ، فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائما فوق الرمل فى ظل شجرة ، وقد توسد درته ، وهى عصا صغيرة كانت دائما بيده يغير بها المنكر ، فلما رآه الرسول على هذه الحال وقع الخشوع فى قلبه وقال : رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته ، وتكون هذه حالته ، ولكنك يا عمر حكمت فعدلت فأمنت فنمت ، وملكنا يجور ، فلا جرم ولا حرج أنه لا يزال ساهراً خائفا .

خلق الإستقامة

الإستقامة هى سلوك الصراط المستقيم ، وهو الدين القويم من غير عوج عنه يمنة ولا يسرة ، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة منها والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك .

والإستقامة فى الإسلام منهج متكامل جمع بين العقيدة والشريعة والدين والدنيا ، إنها تعنى القيادة الظافرة ، والمسيرة الحازمة .

إن الإستقامة تعنى الإيمان الكامل بالله وحده والإذعان التام لمشيئته والخضوع لجلاله ، والإحتكام فى كل صغيرة وكبيرة إلى دينه ، والتطبيق لشريعته وصوغ الحياة العامة والخاصة جميعا وفق ما يأمر به وينهى عنه .

ولهذا فإن الإسلام أولى الاستقامة إهتماماً خاصاً، ودعا إليها بأسلوب شيق يستهوى الأنفس ويؤثر فى أعماقها بما وعد الله عزوجل المستقيمين من الآجر العظيم والثواب الكبير فى الدنيا والآخرة.

قال تبارك وتعالى: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون. نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون. نزلا من غفور رحيم» [1].

ثم يطمئنهم الله سبحانه وتعالى بقوله: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون. أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون» [2] والمعنى أى لاخوف عليهم من عذاب يوم القيامة، ولاهم يحزنون على ماخلفوا وراءهم بعد مماتهم.

كما خاطب الله عز وجل رسوله ﷺ بقوله: «فاستقم كما أمرت» يعنى فاستقم يامحمد على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرك ربك والأمر فيه للتأكيد لأن النبى ﷺ كان على الإستقامة لم يزل عنها فهو أمر بلزوم الإستقامة والسير عليها والتمسك بها وعدم التفريط فيها وجاء فى تفسير القرطبى أن الذى شيب الرسول ﷺ من سورة هود قوله تعالى: «فاستقم كما أمرت» قال: روى عن عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا على الشنوى يقول رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت يارسول الله روى عنك أنك قلت شيبتنى هود فقال نعم فقلت له ماالذى شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم قال: لاولكن قوله: فاستقم كما أمرت» وهذا عندما سأل الصحابة رسول الله ﷺ وقالوا له: لقد أدركك الشيب يارسول الله؟ قال: شيبتنى هود وأخواتها.

---

(١) فصلت: ٣٠ — ٣٢ (٢) الأحقاف: ١٣، ١٤

وقد حث الرسول ﷺ على الإستقامة ، فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال : قلت يارسول الله قل لى فى الإسلام قولا لاأسأل عنه أحداً بعدك قال : « قــل آمنت بالله ثم أستقم »[1] .

وهذه الوصية من الرسول ﷺ وصية جامعة ، لأنها جمعت كل مايحتاج إليه المسلم الصادق ليحقق سعادته التى يبغيها فى الحياة الدنيا والآخرة ، فقول الرسول ﷺ قل : « آمنت بالله » إعلان للإيمان المطلوب من المسلم وهذا خاص بالعقيدة ، والإستقامة هى دليل الصدق فى هذا الإعلان بالتطبيق العملى المبرهن على صدق القائل وهذا خاص بالشريعة .

ومن هنا فالاستقامة من أشرف الفضائل واسمى الخلائق ، اذ هى التى توقف صاحبها دون حدود الله عز وجل فلا يتعداها ، وتنهض به إلى الفرائض فلا يقصر فى أدائها ، أو يفرط فى جزء من أجزائها ، وهى التى تعلمه العفة فيكتفى بما أحل الله له عما حرم عليه .

ويكفى صاحبها شرفاً وفخراً قول الله سبحانه وتعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقا »[2]

وأصل الاستقامة : استقامة القلب على التوحيد ، أى توحيد الله عز وجــل ، فمتى استقام القلب على معرفة الله جلت قدرته وعلى خشيته وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والأعراض عما سواه أستقامت الجوارح كلها على طاعة الله جل وعلا ،

---

(١) صحيح مسلم جـ١ ص ٣٦ ، ٣٧

(٢) الجن آية : ١٦

فإن القلب هو ملك الأعضاء وهى جنوده ، فإذا استقام الملك إستقامت جنوده ورعاياه ولهذا قال رسول الله ﷺ « ... ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب »[١] .

ومن أعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح : اللسان حيث أنه ترجمان القلب والمعبر عنه، ولهذا لما أمر النبى ﷺ بالاستقامة وصاه بعد ذلك بحفظ لسانه ، ففى مسند الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .

وفى رواية الترمذى عن أبى سعيد مرفوعاً إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تفكر اللسان فتقول : إتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت إستقمنا ، وإن اعوججت إعوججنا » .

٩ — فى خلق التواضع وذم الكبر :

التواضع خلق من الأخلاق الإسلامية وفضيلة من الفضائل الأخلاقية ، والمسلم يتواضع فى غير مذلة ، ولا مهانة ، والتواضع من أخلاقه المثالية وصفاته العالية ، كما أن الكبر ليس من شأنه ، ولا ينبغى له ، لأن المسلم يتواضع ليرتفع ، ولا يتكبر لئلا ينخفض ، وهذه سنة الله عز وجل يرفع المتواضعين له ، ويخفض المتكبرين وفى هذا يقول الرسول ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »[٢] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) صحيح الإمام مسلم .

وقال فى شأن المتكبرين « حق على الله أن لا يرتفع شىء من الدنيا إلا وضعه »[١] وقال ﷺ فى مصير المتكبرين « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس تعلوه نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال »[٢] .

ولو نظرنا إلى الكبر نجد أنه رذيلة من الرذائل الإجتماعية ، تغرس الفرقة والعداوة بين الأفراد فتقضى على التعاون والمحبة بينهم .

ومن أجل هذا صرف الله عز وجل قلوبهم عن سماع ما أنزله على رسله من البينات والهدى ، لأن هؤلاء المتكبرين كتب الله عليهم الضلالة وذلك من جراء كبريائهم قال عز وجل : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا »[٣] .

كما بين القرآن الكريم أن المستكبرين كانوا أعصى الناس على الإستجابة لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، كما كانوا أشد الناس عداوة لهم .

فيقول سبحانه وتعالى فى حق قوم سيدنا صالح عليه السلام : « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون. قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون »[٤].

---

(١) صحيح الإمام البخارى .
(٢) النسائى والترمذى وحسنه .
(٣) الأعراف : ١٤٦
(٥) الأعراف : ٧٥ — ٧٧

وعاد أيضاً قوم سيدنا هود عليه السلام استكبروا عن سماع هداية الله فكان الجزاء المناسب لهم من الله تعالى قال عز وجل : « فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ، فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون »[1] .

ومن هنا فإن الله جلت قدرته توعد المتكبرين فى الآخرة بالعذاب الأليم فقال جل وعلا : « أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين »[2] .

والمسلم لايملك إلا التواضع عندما يسمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى الثناء على المتواضعين مرة ، وفى ذم المتكبرين أخرى . أو فى الأمر بالتواضع ، أو النهى عن الكبر قال الله عز وجل مخاطباً رسوله ﷺ وآمراً له بالتواضع : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »[3] .

يقول الإمام الشوكانى فى تفسير هذه الآية الكريمة : يقال خفض جناحه إذا ألانه ، فيه إستعارة حسنة والمعنى ألن جانبك وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين وأظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم[4] .

وقال عز وجل مخاطباً رسوله ﷺ : « ولا تمش فى الأرض مرحاً »[5] أى لا تمش متبختراً كمشى الجبارين فإنك لن تخرق الأرض بمشيك وشدة وطئك ، ومهما شمخت بأنفك فلن تبلغ الجبال فى ارتفاعها .

وقال تعالى فى الثناء على أوليائه بوصف التواضع فيهم : « يحبهم ويحبونه

---

(١) فصلت : ١٥ . ١٦ (٢) الزمر : ٦٠
(٣) الشعراء : ٢١٥ (٤) فتح القدير جـ ٤ ص ١٢٠
(٥) الإسراء : ٣٧

أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين »[١] وقال فى جزاء المتواضعين : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً »[٢] .

وقال رسول الله ﷺ فى التواضع وعدم الإفتخار بالآباء والأجداد، وعدم البغى والاعتداء: إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد »[٣] .

وقال فى الترغيب فى التواضع: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال له أصحابه : وأنت؟ قال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[٤] .

وقال ﷺ فى التنفير من الكبر والكبرياء : « ألا أخبركم بأهل النار : كل عتل جواظ مستكبر»[٥] والعتل هو الغليظ الجافى والجواظ هو الضخم الجسم المختال الذى يختال بنفسه على الآخرين .

وقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان وملك كذاب ، وعائل مستكبر »[٦] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه: قال الله عز وجل فى الحديث القدسى: « العز إزاره ، والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبته »[٧] وقال أيضاً : « بينما رجل فى حلة تعجبه نفسه ، مرجل رأسه يختال فى مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة »[٨] .

---

(١) المائدة : ٥٤ (٢) القصص . ٨٣
(٣) سنن أبى داود جـ٢ صـ٥٧١ (٤) صحيح البخارى .
(٥) متفق عليه . (٦) صحيح مسلم .
(٧) صحيح مسلم (٨) متفق عليه .

ومن هنا فإن الله عز وجل نهى عن التكبر لأنه صفة مذمومة فقال عز وجل . « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور »[١] .

وأمر بالتواضع وحث عليه عباده، لأنه صفة محمودة أثنى عليها الله عز وجل فى كتابه الكريم وأمر بها رسوله ﷺ وحثه عليها والتواضع يجب أن يكون مع الناس جميعاً. الأبيض والأسود، الغنى والفقير القوى والضعيف، الحاكم والمحكوم، لا فرق فى ذلك بين أحد من الناس .

قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى عن التواضع : التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام[٢] .

أمثلة رفيعة للتواضع :

١ — قال أنس بن مالك رضى الله عنه : « إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد الرسول ﷺ فتنطلق به حيث شاءت » وكيف لا وهو القدوة والأسوة لهذه الأمة به يقتدون وبأمره يأتمرون وبنهيه ينتهون قال تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ... »[٣] .

٢ — رؤى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرة حاملا لحماً بيده اليسرى، وفى يده اليمنى الدرة وهو أمير المؤمنين وخليفتهم يومئذ ، لأنه تربى فى مدرسة أساسها التواضع وكان معلمها هو الذى أرسى قواعد التواضع بين أصحابه فكيف لا يكون عمر بن الخطاب رضى الله عنه كذلك؟

---

(١) لقمان : ١٨
(٢) المناقب للبيهقى ج ٢ ص ٢٠٠
(٣) الأحزاب : ٢١

٣ — روى أن عليا رضى الله عنه وكرم الله وجهه اشترى لحماً من السوق لحمله فى ملحفته فقيل له : يحمل عليك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا أبو العيال أحق أن يحمل ، وهذا لأنه تربى فى هذه المدرسة ونشأ فيها ووضع لبانها وتتلمذ على يد رئيسها ﷺ ومن هنا فلا بد أن تؤثر فيه هذه التربية الحسنة والأخلاق العالية وأن تكون له خلقاً رضى الله عنه وكرم الله وجهه .

٤ — روى أن أبا هريرة رضى الله عنه أقبل من السوق يحمل حزمة وهو يومئذ خليفة بالمدينة لمروان : ويقول : أوسعوا للأمير ليمر وهو يحمل حزمة الحطب ، لأنه أيضا تربى فى مدرسة التواضع فلا يمنعه منصبه أن يخدم نفسه بنفسه وهو فوق ذلك قدوة لرعيته من الناس الذين تولى أمرهم .

٥ — روى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أتاه ضيف فى ليلة من الليالى وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف : أقوم إلى المصباح فأصلحه ؟ فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه فقال الضيف : إذا أنبه الغلام ؟ ، فقال عمر رضى الله عنه : إنها أول نومة نامها فلا تنبهه .

وذهب عمر إلى البطة وملأ المصباح زيتا ، ولما قال له الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين ؟ أجابه عمر رضى الله عنه قائلا : ذهبت وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر ، ما نقص منى شىء ، وخير الناس من كان عند الله متواضعاً .

٦ — قال أبو سلمة : قلت لأبى سعيد الخدرى : ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم ؟ فقال : يا ابن أخى كل لله واشرب لله ، والبس لله ، وكل شىء دخله من ذلك زهو أو مباهاة أو رياء

أو سمعة فهو معصية وسرف ، وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ فى بيته . كان يعلف الناضح ، ويعقل البعير ، ويقم البيت ويحلب الشاة . ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويأكل مع خادمه ، ويطحن عنه إذا أعيا ويشترى الشىء من السوق ، ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده ، أو يحمله فى طرف ثوبه ، وينقلب إلى أهله ، يصافح الغنى والفقير ، والكبير والصغير ، ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير و كبير ، أو أسود أو أحمر ، حراً أو عبداً من أهل الصلاة أى المؤمنين .

وإذا كان المتكبر يفتخر بجماله وقوته فإن الجمال يزول وأقل مرض يضعضعه ، والقوة أيضا لا تبقى فالإنسان بعد القوة والصحة يصير إلى الضعف والكبر ، وإذا كان يفتخر بماله وغناه فليعلم أن الموت لا يفرق بين الغنى والفقير ، والإنسان عند رحيله من الدنيا إلى دار المستقر سيترك كل ما يملك إلى غيره .

فمما لا شك فيه أن التواضع خلق إسلامى عظيم تحلى به سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وتخلق به صحابته رضوان الله تعالى عليهم ومن بعدهم التابعين فالواجب على المسلم أن يتحلى به ويجعله خلقاً له ينير له الطريق ويرسم له المنهج المستقيم .

١٠ — خلق العفو

من الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة خلق العفو ، الذى يجب أن يتحلى به المسلم ويكون خلقاً له ، والعفو لا يصدر إلا من نفس كبيرة راجحة العقل صبرت على اعتداء الغير وتحمل أذاه ، والاعتداء لا يصدر إلا من نفس مريضة مليئة بالشر فقدت صوابها .

ومن هنا فالواجب على المسلم أن يقابل هذا بالعفو والمغفرة والصفح

قال تعالى حاثاً على العفو : « وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم »[١] .

كما وصف الله عزوجل به المؤمنين الصادقين فقال : « ويدرءون بالحسنة السيئة »[٢] أى يدفعون بالعمل الطيب الصالح السيء من الأعمال .

ولم يكتف القرآن الكريم بذلك بل دعا إلى مقابلة الإساءة من الناس لأن الناس كثيراً مايصدر منهم مايغضب النفوس ويثير القلوب بالإحسان إليهم لأن ذلك يؤدى إلى نزع العداوة والبغضاء من قلوبهم وإحلال المودة مكانها نقرأ ذلك فى قول الله جل وعلا : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »[٣] .

وطباع الناس مختلفة فمنهم الخلوق المهذب ، ومنهم الشرس العنيد ، ولهذا وضع الإسلام علاجا لهذه النوعية من الناس حتى لا تتمادى فى غيها وعدوانها وهو المقابلة بالمثل من غير إسراف أو ظلم ومع هذا لم يغفل جانب العفو ، بل رجحه على المقابلة بالمثل لما فيه من أجر عظيم وثواب كبير عند الله سبحانه وتعالى .

قال عزوجل : « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لايحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور »[١] .

ومن هنا خاطب الله جل وعلا رسوله ﷺ بقوله : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر »[٢] .

---

(١) التغابن : ١٤ (٢) فصلت : ٣٤

(١) الشورى : ٤٠ — ٤٣ (٢) آل عمران : ١٥٩

وحثه على العفو والعمل به فقال جل فى علاه : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »[١] .

قال الإمام ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية الكريمة : لما أنزل الله عزوجل على نبيه ﷺ « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » قال رسول الله ﷺ ما هذا ياجبريل ؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك[٢] .

وفى البخارى عن عبد الله بن الزبير « ما نزلت : خذ العفو وأمر بالعرف إلا فى أخلاق الناس ، وقال جعفر الصادق : ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية أى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » والعفو وعدم الحقد على الناس فيه راحة للنفس من العداوة والبغضاء .

كما قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى ، حيث أن العفو من شيم الكرام وأصحاب النفوس الكبيرة ، التى لا تعرف الحقد والحسد ، وقد عبر الإمام الشافعى رحمه الله عن هذا فقال :

لما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحت نفسى من هم العداوات
إنى أحيى عدوى عند رؤيته
لأدفع الشر عنى بالتحيات
الناس داء وداء الناس قربهم
وفى اعتزالهم قطع المودات

---

(١) الأعراف : ١٩٩

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٧

وقال أيضا :

يخاطبنى السفيه بكل قبح   فأكره أن أكون له مجيباً
يزيد سفاهة فأزيد حلماً   كعود زاده الإحراق طيباً(١)

هذا هو العفو كخلق رفيع وصفة حميدة دعا إليه الإسلام وحث عليه رسوله ﷺ ووعد المتصفين به ثواباً كبيراً وأجراً عظيما ولو نظرنا إلى المسيحية نجد أنها تزين العفو مطلقاً .

فقد جاء فى الإصحاح الخامس من إنجيل متى : ٣٨ قد سمعتم إنه قيل العين بالعين والسن بالسن أما أنا فأقول لكم لاتقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فخل له رداءك أيضا ، قد سمعتم أنه قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك . أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلوا لأجل من يمقتكم ويضطهدكم) .

ولقد سئل الشيخ محمد الشال عن العفو فى القرآن من قبل أحد الباحثين الأمريكيين ألا ترى أن المسيحية أسمح من الإسلام لأنها تقول : إنه من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، والإسلام يدعو إلى القصاص أولا وإلى العفو ثانيا .

فأجابه الشيخ محمد الشال بقوله : إن مادعا إليه الإسلام هو ماتدعو إليه الفطرة السليمة ، بل لا أغالى إذا قلت أن الإسلام أسمح من المسيحية فى هذا ، لأنه إذا أعطى حق القصاص للمعتدى عليه فقد أراحه نفسياً ، حيث قد جعل له سلطانا يؤيده الحق ، ثم دعاه ، وهو صاحب السلطان فى القصاص ، إلى العفو وهو لايكون إلا معه ، ولاشك أن الإنسان إذا

---

(١) الديوان للإمام الشافعى ص ٣٤ ، ٣٨

عفا وهو متمكن من القصاص كان عفوه فيه رحمة وعزة ، أما إذا دعوناه إلى العفو من أول الأمر ، ولم نجعل له حقاً فى القصاص كما دعت إليه المسيحية ، فإن استجاب — وقلما يستجيب — فعل ذلك وهو متبرم وساخط ، لأن هذا يعتبر عفو الضعف لا عفو المقدرة والعزة كما دعا الإسلام[1] .

ومن هنا فالواجب على المسلم أن يتخلق بخلق العفو ، وأن يكون عفواً حليماً مع الناس وهـــذا لا يتأتى إلا بضبط النفس وكظم الغيظ ورحابة الصدر وكثرة الصبر وعدم الغضب لأتفه الأسباب .

يروى أن أحد السلف غاظه غلام له غيظاً شديداً فهم بالانتقام منه فقال الغلام : والكاظمين الغيظ ، فقال الرجل : كظمت غيظى ، فقال الغلام : والعافين عن الناس ، فقال الرجل : عفوت عنك ، فقال الغلام : والله يحب المحسنين ، فقال الرجل : أذهب فأنت حر لوجه الله تعالى .

١١ — خلق التقوى

والتقوى أيضاً خلق من الأخلاق الإسلامية وفضيلة من الفضائل الإجتماعية ، والمراد بها أن يتقى المسلم ما يغضب الله عز وجل ويبتعد عما فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره ، وتقوى الله سبحانه وتعالى تتطلب خشيته وطاعته ومن طاعة الله عز وجل أن نعبده كما ينبغى وأن نعامل إخواننا بما نحب أن يعاملونا به ، وأن يكون من ضميرنا لا من الناس وازع يحول بيننا وبين معصية الله عز وجل .

فالمتقون هم الذين يقون أنفسهم عذاب الله تعالى وسخطه فى الدنيا

---

(١) راجع فى هذا روح الدين الإسلامى عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٢١٧

والآخرة وذلك بالوقوف عند حدوده بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، والله تبارك وتعالى لا يأمر إلا بما فيه خير للإنسانية ولا ينهى إلا عما يضرها قال جل في علاه: «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[1] يعني: يا من صدقتم بالله ورسوله وأسلمتم وجوهكم لله تعالى، أحفظوا انفسكم، وصونوا أزواجكم وأولادكم، من نار حامية مستعرة وذلك لا يكون إلا بترك المعاصي وفعل الطاعات، وبتأديبهم وتعليمهم قال مجاهد: أي اتقوا الله. وأوصوا أهليكم بتقوى الله وقال الخازن: أي مروهم بالخير وانهوهم عن الشر، وعلموهم وأدبوهم حتى تقوهم بذلك من النار، والمراد بالأهل النساء والأولاد وما ألحق بهما[2].

ومن هنا عنى القرآن الكريم بالتقوى عناية كبيرة وأولاها أهمية عظمى فأكثر من الأمر بها وتوجيه النفوس إليها وذلك بأساليب مختلفة حتى يحبب فيها الناس جميعاً، فالفرقان وتكفير السيئات وغفران الذنوب من التقوى.

قال تبارك وتعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم»[3].

والحفظ والحراسة من الأعداء من ثمرات تقوى الله تعالى قال عز وجل: «وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط»[4].

والتأييد والنصر من ثمرات التقوى قال تعالى: «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»[5] والنجاة من الشدائد والرزق الحلال من

---

(١) التحريم ٦

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ج٣ ص ٤١٠

(٣) الأنفال: ٢٩ (٤) آل عمران: ١٢٠ (٥) النحل: ١٢٨

ثمرات التقوى قال جل فى علاه : «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب»[1] أى ومن يراقب الله تعالى ويقف عند حدوده التى أمر بها عباده ، يجعل له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يعلمه قال الإمام القرطبى فى تفسيره لهذه الآية : نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الأشجعى أسر المشركون إبنه ، فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة وقال : إن العدو أسر إبنى وجزعت أمه فما تأمرنى ؟ فقال ﷺ له : إتق الله واصبر وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل هو وامرأته ، فبينا هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ا ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت[2].

وإصلاح العمل وغفران الذنوب أيضاً من ثمرات التقوى قال عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما »[3] .

ونور الله ورحمته تعالى لا يهبهما إلا للمتقين قال سبحانه وتعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم »[4] وحب الله تعالى أيضاً للذين اتقوه فى الدنيا والآخرة قال عز وجل : « إن الله يحب المتقين»[5] ومن ثمرات التقوى أيضاً : الخلود فى الجنة التى أعدها الله تعالى لهم قال تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين»[6] ومن ثمرات التقوى نيل رحمة الله تعالى قال جل فى علاه: «ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون »[7] ومن ثمرات التقوى أيضاً أن المؤمن يكون فى أمن

---

(١) الطلاق : ٢ ، ٣ (٢) تفسير القرطبى جـ١٨ ص١٦٠
(٣) الأحزاب ٧٠ ، ٧١ (٤) الحديد ٢٨ (٥) التوبة ٤
(٦) آل عمران ١٣٣ (٧) الأعراف ١٥٦

من الخوف والحزن يوم القيامة قال سبحانه : «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا والآخرة »[1] ومن ثمرات التقوى كذلك الثواب العظيم من الله تعالى والنعيم فى الآخرة قال تعالى : «للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد»[2]

كما أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده المؤمنين بالتقوى وحثهم عليها فقال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون »[3] كما وصف الله تعالى المتقين بأنهم الذين تحلوا بالفضائل الكريمة فقال : «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »[4] .

كما أخبر القرآن الكريم أيضاً أن العفو من التقوى فقال تعالى : «وأن تعفوا أقرب للتقوى»[5] والاستقامة مع الأعداء من التقوى أيضاً قال تعالى: « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين»[6] والعدل من التقوى كذلك قال تعالى : «أعدلوا هو أقرب للتقوى»[7]

---

(١) يونس ٦٢، ٦٣، ٦٤ (٢) آل عمران ١٥
(٣) آل عمران ١٠٢ (٤) البقرة ١٧٧
(٥) البقرة ٢٣٧ (٦) التوبة ٧
(٧) المائدة ٨

وكان الرسول ﷺ يقول لمن يسأله الوصية : أوصيك بتقوى الله وكذا ، وقال أبو ذر رضي الله عنه : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : « ومن يتق الله يجعـــل له مخرجاً » ثم قال : يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم . وقال معاذ بن جبل : ينادى يوم القيامة أين المتقون؟ فيقومون فى كنف من الرحمن لا يحتجب عنهم ولا يستتر . قالوا له : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله بالعبادة، وقال ابن مسعود رضي الله عنه فى قول الله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » قال : أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

وقد أخرج الترمذى عن أبى ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

والتقوى من المسلم تكون فى السر والعلانية حيث يراه النـــاس وحيث لا يرونه ، حيث أن الله تعالى يراقبه وينظر إليه قال تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً »[1] .

والتقوى وصية الله عز وجل للأولين والآخرين قال تعالى : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » .

ويدخل فى التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات وهى أعلى درجات التقوى قال عز وجل : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون

---

(١) النساء : ١

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »[١] كما أن التقوى تعتبر خير زاد للمسلم يتزود به في هذه الحياة الدنيا قال تعالى : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب »[٢] .

هذه هي التقوى كما جاءت في القرآن الكريم وكما حث عليها الرسول ﷺ وسلك طريقها صحابته الأطهار رضوان الله عليهم وهذه أيضاً صفات المتقين وثمرات التقوى في الأفراد والجماعات ومن هنا فالواجب على المسلم أن يتحلى بخلق التقوى حتى يفوز في الدنيا بالسعادة وفي الآخرة بالنعيم العظيم الذي أعده الله تعالى لعباده المتقين .

---

(١) البقرة ٤ — ٥ (٢) البقرة ١٩٧

١٢ـ خلق الإيثار وحب الخير

والإيثار وحب الخير أيضاً من الأخلاق الإسلامية الرفيعة والصفات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها المسلم ويتخذها خلقا له في حياته .

والإيثار هو تفضيل الغير على النفس في الخير وهو لايكون إلا من أصحاب النفوس الكبيرة التي تسعى دائماً لخدمة الإنسانية ، والمسلم في إيثاره وحبه للخير يسير سير الصالحين السابقين وينهج منهج الأولين الفائزين الذين أثنى عليهم الله عزوجل في قوله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[١] .

أي يفضلون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الحاجة والفاقة إليه . فإيثارهم ليس عن غنى عن المال ، وإنما كان إيثارهم عن حاجة وفقر ، وهذا هو قمة الإيثار ، ومن حماه الله من البخل والشح فقد أفلح ونجح ، والشح هو البخل الشديد مع الجشع والطمع .

وقد قال الرسول ﷺ مبينا آثار الشح وعواقبه الوخيمة : « واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[٢] .

وقد جاء في سبب نزول الآية السابقة مارواه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : أصابني الجهد ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال عليه الصلاة والسلام : ألا رجل يضيف هذا الرجل الليلة رحمه الله ؟

---

(١) الحشر : ٩

(٢) أخرجه الإمام مسلم .

فقال أبو طلحة : أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله . قالت : والله ماعندى إلا قوت الصبية . قال : إذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فاطفىء السراج ونطوى الليلة لضيف رسول الله ، ففعلت ، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام لقد عجب الله من صنيعكم الليلة لضيفكم ونزلت هذه الآية الكريمة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

فالمسلم يؤثر غيره على نفسه ويفضله عليها ، فقد يجوع ليشبع غيره ، ويعطش ليروى غيره ، بل قد يموت فى سبيل حياة آخرين وهذا لا يكون إلا ممن تشبعت روحه بالكمال وانطبعت نفسه بطابع الخير وحب الفضيلة قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شىء من ماء وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ، ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به فقلت : أسقيك ؟ فأشار إلى أن نعم ، فإذا رجل يقول . آه ، فأشار ابن عمى إلى أن انطلق به إليه . فجئته فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال : آه ، فأشار هشام أن انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات ، رحمة الله عليهم أجمعين .

فقد آثر كل واحد من هؤلاء الثلاثة غيره على نفسه مع شدة احتياجه إلى الماء ليروى به ظمأه ولكنه فضل أخاه على نفسه وهكذا خلق الإيثار يرتفع بالمسلم إلى الدرجات العليا والمثل الفاضلة فى الحياة .

والمسلم بأخلاقه الفاضلة وصفاته الحميدة يستمدها من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ فهو عندما يقـــرأ قول الله عز وجل : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم »[1] .

---

(١) المزمل : ٢٠

وقوله تعالى : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير »[1] .

يحتقر الدنيا ويزدريها ويصطفى الآخرة ويجتبيها ، وعندما يقرأ قول الرسول ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه »[2] تزداد أخلاقه سموا وعلوا .

ولو نظرنا إلى صحابة الرسول ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين نجد أن الإيثار كان خلقاً لهم وكيف لاوهم الذين تربوا على يد الرسول ﷺ وهذا موقف لسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه يدلنا على قمة الإيثار وحب الخير .

فعندما وافقت قريش فى دار الندوة بإجماع الآراء على قتل الرسول ﷺ واغتياله فى منزله ، وسمع الرسول ﷺ بهذا القرار الظالم من قريش وكان الله قد أذن له بالهجرة فعزم عليها ورتب لها وأخذ يبحث عن الشخص الذى ينام مكانه فى فراشه للتمويه على المتربصين له فوجد ابن عمه الشاب المسلم الفدائى على بن أبى طالب رضى الله عنه فعرض الرسول ﷺ الأمر عليه فلم يتردد لحظة فى أن يقدم نفسه فداء لرسول الله ﷺ ، وخرج الرسول ﷺ لأمر ربه ونام على رضى الله عنه فى فراشه وضحى بنفسه وآثر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالحياة فضرب بذلك على حداثة سنه أروع مثل فى الإيثار والتضحية والفداء ، لقد جاد رضى الله عنه بنفسه والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، فالإيثار له أكبر الأثر

---

(١) الحديد : ٧

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

فى توثيق المحبة بين أفراد المجتمع إذ يجعلهم متعاطفين متعاونين يشقى بعضهم من أجل سعادة الآخرين .

٨ — وقوع الجزاء فيها :

من المعروف أن الأخلاق فى الإسلام تقوم على مبدأ التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل ، والمسلم مطالب أن يتحلى بالفضائل ، وأن يتخلى عن الرذائل ، فإذا التزم بهذا المبدأ كان له الثواب من الله عزوجل على تنفيذ ما أمر الله سبحانه وتعالى به ومانهى عنه ، وبهذا يكون المسلم قدوة حسنة صالحة للناس ، فيتأثرون به ، ويأخذون عنه .

وفى عظم قدر الأخلاق الفاضلة وعظيم ثوابها قال رسول الله ﷺ « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »[1] .

والمبادىء والقيم الإنسانية لاتؤتى ثمارها ، ولا يكون لها أى أثر فعال فى النفوس حتى تتمثل فى سلوك خلق رفيع ، يشاهده الناس ويلاحظونه فى شخص من يدعو إلى هذه المبادىء وتلك القيم ، والذين يقتدون به ويأنسون بأفعاله ، ويترسمون خطاه ، فالتطبيق العملى أعمق أثراً فى الدعوة إلى المبادىء وغرسها فى النفوس ، من مجرد النصح بالكلمات ، فإذا حدث تناقض عند الداعية بين قوله وفعله ، وكانت أفعاله على عكس أقواله ونصائحه وإرشاداته ، فقد ثقة الناس فيه وفى مبادئه التى يقوم بالدعوة إليها ومن أجل ذلك لعن الله بنى إسرائيل ،

فقال عزوجل : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود

---

(١) سنن أبى داود جـ ٢ ص ٥٥٢

وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »[١] .

وحذر سبحانه وتعالى المؤمنين من ذلك فقال عزوجل : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »[٢] .

وعلى ذلك فلا مفر ولامهرب للفرد المسلم ذكراً كان أم أنثى من الإلتزام بالمسئولية فى الأقوال والأفعال ولا يتحرر أحد من هذه المسئولية وفى شمول المسئولية التى يضطلع بها الأفراد من بنى الإنسان يقول الرسول ﷺ فى حديث جامع شامل :

« ألا كلكم راع ومسئول عن رعيته ، الإمام راع على الناس وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[٣] .

إن الأخلاق الإسلامية هى الوحيدة ، التى تحاط أحكامها بالجزاء الأخروى : ترغيباً وترهيباً ، ووعداً ووعيداً ، وهذا مقرر فى القرآن الكريم حيث قال عزوجل : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين »[٤] .

---

(١) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ (٢) الصف : ٢ ، ٣
(٣) أخرجه الإمام البخارى جـ ٩ ص ٧٧
(٤) النساء : ١٣ ، ١٤

إن الناس حين يخضعون للإسلام ويطبقون أحكامه ونظمه وأخلاقه ستنزجر نفوسهم عن مخالفتها ، وذلك إما بدوافع الاحترام لها أو بدافع الحياء من الله عز وجل ، المطلع على كل كبيرة وصغيرة ، أو بدافع الجزاء الأخروى . رغبة فى الثواب الجزيل ورهبة من العقاب للمخالفين قال تبارك وتعالى :

« يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء : تود لو أنها بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد »[1]

وسائل الإسلام فى اكتساب الفضائل ومقاومة الرذائل :

يدعو الإسلام للفضيلة ويحث الناس على التمسك بها ويحذر من الرذيلة فى الوقت نفسه وينفر الناس منها ، والإسلام فى ذلك كله لايقبل الكبت والارهاق طريقا ، ولكنه يعتمد على التربية الصحيحة والقناعة والتفكير السليم والاستقامة ، من أجل أن يقبل المسلم على الفضيلة فى رغبة حقيقية ، ومن أجل أن يبتعد عن الرذيلة والفساد عن طيب خاطر ، هذه وسائل الإسلام فى الدعوة إلى الخير والصلاح ، والنهى عن الشر والفساد ، على أن يكون ذلك غير قائم على القهر والقسر والارهاب . بل على التثبت واليقين وإمعان النظر والتفكير .

من هذه الوسائل :

(١) آل عمران : ٣٠

١ — الاستقامة :—

الاستقامة فى الإسلام منهج متكامل جمع بين العقيدة والشريعة والدين والدنيا ، إنها تعنى القيادة الظاهرة والمسيرة الحازمة المقيمة على نهج واضح ويقين ثابت ، إنها تعنى الإيمان الكامل بالله وحده والإذعان التام لمشيئته والخضوع لجلاله ، والإحتكام فى كل صغيرة وكبيرة إلى دينه ، والتطبيق لشريعته وصوغ الحياة العامة والخاصة جميعاً وفق ما يأمر به وينهى عنه ولهذا قال عز وجل : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون »[(١)] .

ولا تقتصر الاستقامة فى المسلم على باطن النفس ، بل على الظاهر كذلك حتى يكون فى سلوكه ومظهره مستقيماً . ومن التناقض أن يتصف باطن الإنسان بالاستقامة مع الانحراف فى مظهره الخارجى، فإن استقامة الباطن تستلزم بالضرورة استقامة السلوك الظاهرى ، أما إذا كان الظاهر مستقيما والباطن خبيثاً فهذا يعنى النفاق الذى يشوه الإنسان فى شخصيته وكيانه كله .

إن الصورة المثلى للمسلم هى أن يستقيم فى كيانه كله ظاهره مع باطنه وقد أمرنا الله جلت قدرته بالاستقامة وحثنا عليها فقال عز وجل :

« إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون »[(٢)]

---

(١) الأحقاف : ١٣ ، ١٤

(٢) فصلت : ٣٠

كما حث عليها الرسول ﷺ ، فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن سفيان بن عبدالله الثقفى قال : قلت يارسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحد بعدك قال : قل آمنت بالله ثم استقم »[١] .

وهذه وصية جامعة من الرسول ﷺ ، لأنها جمعت كل مايحتاج إليه المسلم الصادق ليحقق سعادته التى يبغيها ، فقول الرسول — ﷺ — قل آمنت بالله إعلان للايمان المطلوب من الإنسان والاستقامة هى دليل الصدق فى هذا الإعلان بالتطبيق العملى المبرهن على صدق الإنسان .

فالإنسان عندما يدعو الناس إلى الخير يجب عليه أن يكون سباقاً إلى الخير ، وعندما يدعوهم إلى تطبيق أحكام الشريعة يجب عليه أن يكون مطبقاً ذلك على نفسه وأهـــل بيته ، وعندما ينهاهم عن الشر والفساد وارتكاب المحرمات يجب عليه أن يكون ملتزما بذلك المنهج فلا يبيح لنفسه ماحرمه على غيره[٢] .

فالاستقامة هى سلوك الصراط المستقيم ، وهو الدين القويم ، من غير عوج عنه يمنة ولا يسرة ،ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك .

٢ — القدوة الحسنة :

وهى وسيلة فعالة وهامة فى قيادة الناس وحثهم على فعل الخير والتقوى وفى بعدهم وتنفيرهم عن فعل الشر ، والقدوة الحسنة . أن يلتزم المسئول سواء كان حاكماً أو عالماً أو داعياً بأمور الشرع ليكون قدوة حسنة

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٦ ، ٣٧

(٢) دراسات فى الدعوة الإسلامية ص ٢٦ للمؤلف .

للناس جميعا ، لأن فى التزامهم بشرع الله عز وجل التزام للناس أيضا ، حيث أن الناس يقتدون بهم فى أقوالهم وأفعالهم لأن : صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان ، وخلقه الفاضل هو السحر الذى يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب ، ومن ثم فإن الداعية الموفق الناجح هو الذى يهدى إلى الحق بعمله ، وإن لم ينطق بكلمة لأنه مثل حى متحرك للمبادىء التى يعتنقها(١) .

أما إذا كان الحاكمون والعاملون والدعاة قدوة سيئة بحيث لا يلتزمون بشرع ولا يضبطهم نظام أو قانون ، إذ يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يقولون ، فإن ذلك من أهم الوسائل التى تصد الناس عن الإسلام وتبعدهم عن طريقه المستقيم ، لأن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال من يدعو إليه ، فإن كان قدوة حسنة فى نفسه عملا وقولا فان كلامه ينفذ إلى القلوب كالسحر ، لأنه بمثابة الطبيب الذى شخص الداء للمريض ثم يصرف له الدواء المناسب ، والرسول ﷺ هو القدوة الحسنة لنا ، وقد أمرنا الله عز وجل بالاقتداء به فى أقواله وأفعاله وأحواله كلها فقال جل فى علاه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »(٢) .

وفى القدوة الحسنة أيضا كان النبى ﷺ خير مثال تهتدى به الأجيال كلما نزل بها الظلم من الظالمين ، أو حل بها الفساد من المفسدين : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »(٣) .

---

(١) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة الشيخ محمد الغزالى ص ٢٩٧
(٢) الأحزاب : ٢١
(٣) التوبة : ١٢٧

ومن هنا فإن القدوة الحسنة من أكبر العوامل فى التأثير على القلوب والنفوس ومن أعظم الأسباب فى نشر الإسلام، وفى هداية البشرية إلى الصراط المستقيم، فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يفهموا هذه الحقيقة، وأن يعطوا لغيرهم القدوة الحسنة، والأخـــلاق الفاضلة، والمعاملة الطيبة، ليكونوا دائمـا اقمار هداية لمن يهتدى بهم، وشموس إصلاح للأبدان الفاسدة ودعاة حق وخير فى عالم تنكب طريق الحق والخير وسار فى طريق الشر والضلال»[1].

وجملة القول أن القدوة ذات تأثير خطير فى تحويل الأفراد والشعوب نحو الفضيلة أو الرذيلة.

٣ — الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وهى وسيلة هامة وفعالة يركز عليها الإسلام كثيراً فى جلب الخير ودفع الشر، والمسلم مكلف من قبل الله عز وجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وذلك فى حدود استطاعته وإمكانه سواء كان حاكما أو محكوماً غنياً أو فقيراً ذكراً أو أنثى.

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة، وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد[2].

ولقد طلبه الله عز وجل على وجه خاص من القادرين عليه الواقفين على حدود الله إذ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقتضى العلم بالحلال

(١) انظر دراسات فى الدعوة ص ١٧٨ المؤلف

(٢) الإحياء للغزالى ج٢ ص٣٠٢ عيسى الحلبى بمصر دار احياء الكتب العربية

والحرام والمعرفة بالمأمور به والمنهى عنه قال تبارك وتعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»[١].

وجعل له شأناً من شئون المؤمنين وألبسه ثوب الولاية يتساوي فى ذلك الرجال والنساء قال جل فى علاه: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[٢].

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو شرع الله عز وجل وشرع رسوله ﷺ فقد وصف الله تعالى رسوله ﷺ به فى قوله تعالى: «يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر»[٣]، ووصف الله سبحانه وتعالى به الأمة الإسلامية وجعلها خير أمة أخرجت للناس فقال جل وعلا: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»[٤]، وأمر به الرسول ﷺ فقال: «والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذاباً منه فتدعون فلا يستجاب لكم»[٥].

وقال أيضا صلوات الله وسلامه عليه: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٦].

والسر فى ذلك أن النفوس البشرية أمارة بالسوء، فهى تدفع الناس إلى مهاوى الضلال ومواضع الفساد وإلى ارتكاب المنكرات، واقتراف الموبقات، فإذا ما وجد الوعاظ المرشدون، والمصلحون الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كانوا كالكواكب المشرقة المضيئة فيبددون

---

(١) آل عمران ١٠٤ (٢) التوبة ٧١
(٣) الأعراف ١٥٧ (٤) آل عمران ١١٠
(٥) صحيح مسلم ج ١ ص ٦٩
(٦) سنن الترمذي باب فى الأمر بالمعروف

ظلمات الجهالة ، وينيرون للناس سبل الحياة ، ويهدونهم إلى طريق السعادة ، لأنهم يهذبون النفوس ويربونها تربية دينية صالحة، ويرشدونها إلى أقوم السبل ويحولون بينها وبين الشهوات والملذات والأهواء الباطلة.

فسعادة الأمة وصلاح أمرها ووصول الخير إليها يتوقف على العلماء العاملين ، الذين يؤيدون الدين ، وينصرون الشريعة ، ويبينون للناس مواطن الخطأ ، ويبصرونهم بأحوالهم : ويحثونهم على التمسك بالفضائل وينهونهم عن اقتراف الرذائل ، وعلى الجملة فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أمهات الفرائض ، التى تتهذب بها النفوس ، ويصان الدين من الضياع ، وتنطوى القلوب على حب التعاون على البر والتقوى والإحسان والبعد عن الإثم والعدوان ، وتطهر النفوس من أدران المعاصى ، وتهتدى إلى أقوم طرق الرشاد الموصلة إلى السعادة فى الدنيا والآخرة[1].

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هما الوسيلة الوحيدة لاستمرار الحياة الطيبة الكريمة وأن التهاون أو التفريط فيهما تدمير لهذه الحياة .

٤ — التربية :

وهى وسيلة هامة من وسائل الإسلام فى اكتساب الفضائل ومقاومة الرذائل ، فطريقة الإسلام فى التربية هى معالجة الكائن البشرى كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئا ولا تغفل عن شىء : جسمه وعقله وروحه ،حياته المادية والمعنوية ، وكل نشاطه على الأرض . إنه يأخذ الكائن البشرى كله ، ويأخذه على ما هو عليه ، بفطرته التى خلقه الله عليها لا يغفل شيئا من هذه الفطرة ، ولا يفرض عليها شيئا ليس فى تركيبها الأصيل[2].

(١) الحسبة فى الإسلام د/إبراهيم الشهاوى ص ١٣
(٢) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ص ١٩

من هنا نجد أن التربية الإسلامية اهتمت بالإنسان إهتماماً كبيراً ، إهتمت به من حيث هو روح وجسد ، لم تعن بجانب وتترك الجوانب الأخرى مهملة ، بل جعلت فى حسابها كل الجوانب ، ولهذا كان تحريم الخمر صيانة لعقله ووقاية لجسمه وحفاظاً على كرامته كانسان خلقه الله عز وجل وكرمه فقال سبحانه : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »[1]،

وكان تحريم الزنا صوناً له من أسباب الهلاك واختلاط الأنساب ، وقد بين الإسلام مافيه من الأضرار المادية والمعنوية حيث قال عز وجل: « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا »[2].

وكان تحريم كل شىء من شــأنه الإضرار والإفساد بهذا المخلوق الضعيف ، الذى فضله الله وكرمه على كثير من الخلق من ذلك قول الله عز وجل : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما »[3] وقوله تبارك وتعالى . « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة »[4] .

فالتربية الصادقة هى التى تعنى بالإنسان من جميع نواحيــه « وتقيم العدل فى داخله ، وتعطى فى اعتدال كل جانب حقه ، وهذا الإعتدال هو الذى يتيح للروح أن تظفر بفضائلها ، وللجسد أن ينعم بمطالبه ، وعناية التربية بالجسد لتجعل منه أداة صالحة للعمل المثمر والجهاد والبناء والتعمير ، ومتى صلح الجسد وكان قوياً منتجاً نشطاً نشطت الروح فى جو مشبع بالنظافة والطهر .

والتربية الإسلامية تطبع الإنسان على طهــارة النفس وتصفيتها وصفائها ، فيضرب فى الأرض وكأن بين يديه نوراً يهديه إلى الطريق

---

(١) الاسراء : ٧٠ (٢) الاسراء : ٣٣
(٣) النساء : ٢٩ (٤) البقرة : ١٩٥

المستقيم ، والتربية الإسلامية الصحيحة لا تعلم التواكل بل التوكل ، ولا تنصح بالإستسلام بل بالتسليم والسلام ، ولا تأمر بالعزلة بل بالتعاون والإجتماع ، ولا تؤدى إلى الأثرة بل تفضى إلى الإيثار[١] .

٥ — الصدق :

والصدق وسيلة من وسائل الإسلام فى اكتساب الفضائل ومقاومة الرذائل ، فهو فضيلة من الفضائل التى تكفل للمجتمع استقراره ، وتضمن الثقة بين الأفراد. لذلك اعتبر أساساً من أسس الفضائل التى تبنى عليها المجتمعات وجعل عنواناً لرقى الأمم وتقدمها وتحضرها .

وعندما يضيع الصدق يحل محله عدم الثقة وفقدان التعاون ، فهو من ضرورات المجتمع وينبغى أن ينال حظاً كبيراً من العناية فى الأسرة والمدرسة لأنه يحصل منه الخير الكثير ، فيه ترد الحقوق ، وبه يحصل الناس على الثقة فيما بينهم . من أجل هذا دعا الله عز وجل المؤمنين للتخلق به فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »[٢] .

ويقول الرسول ﷺ فى الدعوة إلى الصدق وحث الناس عليه والتخلق به . « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً »[٣] .

والرسول ﷺ يحثنا على الإلتزام والتمسك بالصدق ، لأن الإنسان الذى يلتزم بالصدق فى قوله ورأيه إنما هو فى عداد الأبرار الأطهار من الناس .

---

(١) التربية فى الإسلام د/ أحمد فؤاد الأهوانى ص ١٤

(٢) التوبة : ١١٩ (٣) رواه مسلم .

وقد نوه الله تعالى بشرف الصدق والصادقين ، وأنه أعد لهم جزاء عظيما فقال عز وجل : « ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء »[1] وقال : « قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم »[2] .

وقال : الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار »[3] .

ومن أنواع الصدق : صدق الوعد، وهو من الصفات الحسنة الحميدة، التى ينبغى أن يتحلى بها المسلم. لأنها سبب عظيم من أسباب النجاح فى الحياة الدنيا، بل تعتبر اليوم فى عصرنا الحاضر من صفات أهل الحضارة والمدنية والتقدم ، الذين يحرصون عليها حرصاً عظيما والقرآن الكريم دعا إلى هذه الصفة وحث على التمسك بها من قديم الزمان فقال عز وجل يمدح نبيه إسماعيل السلام: « واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً »[4] .

فالصدق من ضروريات المجتمع ، التى دعا إليها الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

هذه هى مزية الصدق التى تحتل فى أخلاق الإسلام منزلة رفيعة، وهى مزية قد تعبد الله عباده المؤمنين بالتحلى والإلتزام بها حتى يكونوا بالفعل عابدين لله عز وجل .

---

(١) الأحزاب : ٢٤ (٢) المائدة : ١٢٢

(٣) آل عمران : ١٧

(٤) مريم : ٥٤ وانظر روح الدين الأسلامى عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٢١٨ دار العلم للملايين ١٩٨٥

٦ ـ التعاون :

والتعاون أيضاً وسيلة من وسـائل الإسلام فى اكتساب الفضائل ومقاومة الرذائل ، والتعاون على الخير من أبرز مميزات الحياة الروحية للنهوض بالحياة الإجتماعية إلى المستوى الرفيع ، الذى يؤدى إلى رفاهية المجموع والتخفيف من آلام الغير ، وقد أدركت المدنية الحديثة ميزة التعاون فانتشرت فيها الجمعيات التعاونية ، وهى تعطينا الدليل القاطع على فوائد التعاون وضرورته لإسعاد الفرد والمجتمع[١] .

وقد نوه الله عز وجل بفضل التعاون بين الأفراد والجماعات فقال تبارك وتعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[٢] .

فالقرآن الكريم أمر بالتعاون على البر والتقوى ، والبر فى اللغة بمعنى العطية والصلاح والطاعة والصدق ، فهو كلمة جامعة لكثير من الفضائل العظيمة ، والتقوى هى الخوف من الله والعمل بطاعته والإلتزام بأوامره والإنتهاء عن نواهيه .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب إمرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمـه وماله وعرضه »[٣] .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٠ (٢) المائدة : ٢

(٣) مسلم جـ ٨ ص ١١

نماذج من أخلاق السلف الصالح

السلف الصالح هم الرعيل الأول فى المجتمع الإسلامى ، وهو خير رعيل عرفته البشرية على مدار الزمان وفى تاريخها الطويل ، هم أصحاب الرسول ﷺ ، الذين تربوا على يديه ونهلوا من منهله العذب الصافى وآمنوا به ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، وقد أثنى عليهم القرآن الكريم وامتدحهم فقال عز وجل فى حقهم : «محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود»(١).

وقال عز من قائل ممتنا عليهم : «فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون»(٢).

وفى فضل السلف الصالح وعلى رأسهم وفى مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم قال ﷺ : «خير أمتى القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(٣) وذلك يشمل الصحابة والتابعين وتابعيهم .

كما حذر الرسول ﷺ من سب الصحابة أو الانتقاص من شأنهم تحذيرا شديدا أو التحقير منهم فقال عليه صلوات الله وسلامه: «لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(٤).

---

(١) الفتح : ٢٩ (٢) الأعراف : ١٥٦

(٣) سنن أبى داود حـ ٤ صـ ٢١٤

(٤) سنن أبى داود حـ ٢ صـ ٢١٤

١ — أبو بكر الصديق رضى الله عنه :

وفى طليعة السلف الصالح وخير الناس بعد النبيين والمرسلين وخير من أقلت الأرض الصحابى الجليل والرفيق العظيم للرسول ﷺ أبو بكر الصديق رضى الله عنه، الذى آمن فى غير تردد أو خوف من أحد، ليس له مثيل من البشر فى سرعة إقباله والإيمان به ومبايعته بغير جدال أو أناة ولذلك قال فيه ﷺ : « ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبى بكر فإنه لم يتلعثم »[١].

وهو الذى رافق الرسول ﷺ فى أشد الظروف وأحلكها وفى أشد الأيام خطورة، وكان ذلك فى غار ثور حيث اختبأ مع الرسول ﷺ من أذى المشركين أثناء الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فلقد دنا المشركون منهما حتى لم يكن بين الفريقين إلا الباع أو الذراع وهنا قال أبو بكر رضى الله عنه : نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن فى الغار فقلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال : « يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما »[٢].

وعن أبى هريرة رضى الله عنـــه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح فيكم اليوم صائما ؟ قال أبو بكر أنا، قال : فمن تبع فيكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا، قال أبو بكر أنا، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضا، قال أبو بكر أنا. فقال رسول الله ﷺ : « ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة »[٣].

---

(١) حياة الصحابة حـ ٤ صـ ٣٧

(٢) صحيح مسلم حـ ٦ صـ ١٠٨

(٣) صحيح مسلم حـ ٦ صـ ١٠٨

٢ — عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

شخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه شخصية عظيمة رائعة فذة هيهات للدهر أن يجود بمثلها، وهيهات للنساء أن يلدن مثله. هذه الشخصية شهد لها الخصم قبل الصديق بما تجلى فيها من العبقرية والمزايا العجيبة سواء فى ذلك العدل الكامل التى تحقق فى قضائه أو الحزم والشدة أو الجرأة فى كلمة الحق مهما تكن الظروف .

يروى خادمه شيئا عن تواضعه وأخلاقه ورحمته وعطفه على الفقراء والضعفاء فيقول : «خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى حرة (واقم) حتى إذا كنا بصرار وهو مكان قريب من المدينة إذا نار تشتعل فقال : يا أسلم إنى أرى هاهنا ركبانا قصر بهم الليل والبرد فانطلق بنا . فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاعون . فقال عمر : السلام عليكم يا أهل الضوء ، وكره أن يقول يا أصحاب النار ، فأجابته امرأة : وعليكم السلام ، فقال أأدنو ؟ فقالت أدن بخير أودع فدنا منها فقال : ما بالكم ؟ قالت قصر بنا البرد والليل قال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاعون؟ قالت : الجوع ، قال وأى شىء فى هذه القدر؟ قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر، فقال أى رحمك الله وما يدرى عمر بكم ؟ فقالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ؟ فأقبل على فقال : انطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق : فأخرج عدلا من دقيق وكبة من شحم ، وقال : أحمله على ، قلت : أنا أحمله عنك قال : أنت تحمل وزرى يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول لها : ذرى على وأنا أحر

لك ، وجعل ينفخ تحت القدر وكانت لحيته عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلالها حتى طبخ لهم ثم أنزلها وأفرغ الحريرة فى صحفة وهو يقول لها : أطعميهم وأنا أسطح لهم ، أى أبرده ، ولم يزل حتى شبعوا وهى تقول له جزاك الله خيرا كنت بهذا الأمر أولى من امير المؤمنين[١] .

٣ — عثمان بن عفان رضى الله عنه :

وهى شخصية اجتمعت فيها خصال الشهامة والمروءة والحياء ، وهى خصال المؤمنين الأطهار ، الذين أشربت نفوسهم وقلوبهم عذوبة الإيمان والتقوى .

لقد كان عثمان بن عفان رضى الله عنه مثالا فى الخلق النبيل الممتاز الذى يتصف به عظماء الرجال . ومن أهم خصائص الخلق فى سيدنا عثمان ابن عفان رضى الله عنه وقاره وحياؤه ، قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ مضطجعا فى بيتى كاشفا عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على ذلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فتحدث فلما خرج قالت عائشة :

دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال : «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة»[٢].

---

(١) عبقرية عمر للعقاد ص ٥٣ ، ٥٤

(٢) صحيح مسلم جـ ٧ ص ١١٧

ولقد كان عثمان بن عفان رضى الله عنه كريما جواداً يسخو بما له ولا يبالى فى سبيل الله وفى سبيل إعلاء كلمة الإسلام ، وقد تجلى فيه هذا الجود السخى فى تجهيز جيش العسرة فى تبوك فقد بذل من ماله ما لم يبذله أحد ، فقد جهز الجيش بألف بعير وخمسين فرساً وقد روى أنه جاء إلى النبي ﷺ بألف دينار فنثرها فى حجره فجعل رسول الله ﷺ يقلبها ويقول : « ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم » مرتين[1] .

ومما يذكر أن عثمان بن عفان رضى الله عنه هو أول من هاجر بأهله إلى الحبشة فى الهجرة الأولى . فقد روى البيهقى عن أنس رضى الله عنه قال : خرج عثمان بن عفان — رضى الله عنه — ومعه رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة فأبطأ على رسول الله خبرهما حتى أخبرت عنهما وعن حالهما إمرأة فقال رسول الله ﷺ « صحبهما الله — إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه الصلام »[2] .

٤ — علي بن أبي طالب رضى الله عنه :

كان على بن أبى طالب رضى الله عنه علماً من أعلام الدنيا ومشعلا من مشاعل الخير والحق والنور فى هذا الزمان وقبساً يشع العلم والهداية .

لقد كان على بن أبى طالب رضى الله عنه صاحب منزلة عظيمة فى الإسلام وبين المسلمين وصاحب مكانة كريمة رفيعة لدى الرسول ﷺ فقد روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : خلف الرسول ﷺ على بن أبى طالب فى غزوة تبوك فقال : يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان فقال رسول الله ﷺ : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى »[3] .

---

(١) الخلفاء الراشدون عبد الوهاب خلاف ٢٦٤

(٢) حياة الصحابة جـ ١ صـ ٣٢٩ (٣) صحيح مسلم جـ ٧ صـ ١٢٠

ومما يدل على العظمة والتضحية فى شخصية الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه مبيته فى فراش النبى ﷺ ليلة هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، فقد نام فى بيت الرسول ﷺ وهو يعلم مدى الخطر الذى يحيط به من كل جانب فى هذه الليلة . لكنها الشجاعة والتضحية والبذل والإيمان الراسخ والعقيدة القوية قد تجسدت فى شخص على بن أبى طالب رضى الله عنه وكيف لا وهو رجل الإيمان والتقوى والعقيدة والمبدأ ، الذى لا يتزعزع أمام المخاطر والكوارث مهما كانت قوتها ومهما كان بأسها مادام ذلك فى سبيل الله تعالى وفداء لرسول الله ﷺ .

وفى معركة الخندق أو الأحزاب حيث الأخطار التى أحاطت بالمسلمين بعد أن اتحدت هذه الأحزاب فيما بينها ضد المسلمين ، اليهود ونقضهم للعهد من الخلف والمشركون من الأمام ، فحدث الإضطراب بين صفوف المسلمين حتى زلزلوا زلزالا شديداً كما حكى القرآن الكريم ذلك أضف إلى ذلك خروج المشرك المغرور عمرو بن عبدود فى صلف وعنجهية وغرور بطلب المبارزة من المسلمين فنادى : من يبارز ؟ من يقاتل ؟ أين جنتكم التى وعدتم بها إذا قتلتم ؟ فقام على وقال أنا له يا نبى الله ، وبعد طول تحد من المغرور المتعجرف وإلحاح من البطل المغوار على بن أبى طالب رضى الله عنه يأذن له النبى ﷺ فقام إليه على بن أبى طالب وهو ينشد قائلا :

إنى لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو من أنت : قال: أنا على بن أبى طالب ، فقال يا ابن أخى من أعمامك من أسن منك فإنى أكره أن أهريق دمك ، فقال له على .

---

(١) صحيح مسلم جـ ٧ صـ ١٢٠

لكن والله لا أكره أن أهريق دمك : فغضب عمرو ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو على مغضباً واستقبله على بدرقته (ترسه) فضربه عمرو فى درقته فقدها وأثبت فيها السيف وضربه على بن أبى طالب على عاتقه (عنقه) فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف المسلمون أن علياً قتل عمرو بن عبدود[1] .

٥ — عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

كان عمر بن عبد العزيز مثالا يحتذى به فى الثبات على المبدأ والعقيدة وفى إتباع الحق مهما تكن الظروف ، حتى إنه بسيرته العطرة فى العدل والاستقامة قد أصبح أنشودة ترددها أذهان البشر كلما ذكر الناس الحكم والحاكمين والعدل والعادلين ، وكلما عرضت لهم سيرة القادة والساسة والعظماء .

ولقد كان عمر بن عبد العزيز صاحب أخلاق وسلوك ، فقد كان زاهداً فى الدنيا بعيداً عن الشهوات ورغائب الجسد عازفاً عن مناهج الحياة وزخرفها ، لم تغره السلطة ولم تثنه عظمة الجاه عن الإلتزام بمنهجه فى الترفع والاستعلاء والزهد نلاحظ ذلك من خلال سيرته مع نفسه وأهل بيته .

جاءت إمرأة من المشرق لتقابل الخليفة عمر بن عبد العزيز فسألت عن قصره فدلوها فلم تجد إلا داراً هينة فيها خادم وإمرأة فدخلت الدار فإذا رجل يضع الطين على الجدار وإمرأة تناوله الطين ، فقالت لها: ألا تحتجبين من هذا الطيان قالت: إنه أمير المؤمنين ، أما المرأة التى تناوله الطين فهى زوجته فاطمة صاحبة الحسب وسليلة الخلفاء ، وكان غالب طعام الخليفة

---

(١) حياة الصحابة جـ ١ صـ ٥٢٧ ، ٥٢٨

وأهله العدس ، فقد سكبت فاطمة مرة للخادم عشاءه فتبرم وسخط غاضبا وقال : كل يوم عدس ، فقالت فاطمة إنه طعام مولاك أمير المؤمنين .

ورأى إبنته مرة فى الدار فناداها واسمها أمينة فلم تجب فأرسل لإحضارها فأتت فقال: لم لم تردى ؟ فبكت وأشارت إلى ثوبها وقد أتلفه البلى فدعا عمر خادمه واسمه مزاحم وقال له ؟ أنظر إلى تلك الفرش التى فتقناها فاقطع لها ثوباً منها : سبحان الله ثوب من ملحفة عتيقة يصنع منها ثوب لإبنة أمير المؤمنين أعظم عظماء الأرض فى ذلك الزمان .

ومرت به بناته فى إحدى المرات فسددن أفواههن ومضين مسرعات فقال عمر : مابا لهن. فقالت زوجته : لم يجدن ما يتعشين به إلا خبزاً وبصلا فسددن أفواههن حتى لا تشم ريحهن .

إن هذا الشيء عجيب وما أعجب هذا الصنف الكريم من البشر المؤمن الذى غذى الإسلام عقيدة وفكراً والذى أشرب فى عروقه ووجدانه كل معانى الخلق النبيل والمثالية العاليـة المضيئة : هذه المثالية التى لم تدركها أذهان الماديين والجاحدين فباتت فى حسهم وتصورهم ضرباً من الخيال[1] .

---

(١) راجع : دراسات فى الثقافة الإسلامية د / أمير عبد العزيز ص ٢٧٠ ، ٢٧١ دار الكتاب العربى بيروت لبنان ١٩٧٩ م

أخلاق الإسلام والأخلاق الأخرى : —

الأخلاق الكريمة هى وليدة الدين الصحيح ، الدين الذى جاء من عند الله وليس الذى أصابه التحريف والتزييف ، وبذلك فإن أخلاق الإسلام نابعة من هذا الدين فى عقائده وتصوراته ونظمه ، فلا عجب أن تكون الأخلاق بعد ذلك قائمة على الحق والعدل والخير والاستقامة وهذا من أجل أن يكون الإنسان صالحاً فى نفسه وصالحاً مع الآخرين وأن يكون كذلك نافعاً نفعاً إيجابياً .

وهذا الحكم بأن الأخلاق الإسلامية خير من أية أخلاق أخرى لم يأت من فراغ ، بل بعد تثبت وبرهان وهو أن الدين جاء من عند الله — عز وجل — والله سبحانه وتعالى أعلم بالإنسان من نفسه ، وأرحم الراحمين بعباده وأعدل العادلين فيهم ، فهو جل جلاله كتب الخير لعباده وأوجب عليهم السلوك القويم والأخلاق الفاضلة الكريمة ، وأوجب على الإنسان أيضاً .

ومن هنا فإن الله تبارك وتعالى يقيس الأمور بمقياسه الذى لا يضاهى ولا يناظر بخلاف الإنسان ضعيف الإرادة والعزيمة ومحدود التفكير وعلى ذلك فالأخلاق غير الإسلامية تقوم أصلا على الخطأ والجهل وقصر النظر، بل كثيراً ما تستند إلى الشهوة والأنانية والتعصب وتكون النتيجة الوقوع فى الخطأ والانزلاق إلى الفاحشة والمنكرات .

وإذا قارنا بين أخلاق الإسلام والأخلاق الأخرى فسوف نلاحظ أن أخلاق الإسلام قدمت وتقدم للإنسانية والحياة كل معانى الحب والخير بما فى ذلك من خصال الرحمة والعدل والبر والاستقامة والتعاون ، والبعد بالنفس عن السوء والأذى بكل أشكاله .

أما الأخرى فنلاحظ فيها أنواعاً كثيرة من الشر والفساد والجريمة، وتلك أمور يغرى بها الهوى وتشجع عليها الأنانية فى النفس التى لا تخشى الله والتى تسير فى طريق الشيطان ، وسوف تكون النتيجة أخلاق فاسدة ذميمة من بينها على سبيل المثال : الجشع والاستغلال والاحتكار وأكل الربا .

وكذلك الكذب وقول الزور وتعاطى المخدرات والمسكرات وقذف النساء والنيل من شرفهن وعرضهن ثم فاحشة الزنا ، وهى فاحشة قذرة قد ولغت فى رجسها أمم ومجتمعات وشعوب لا تدين بدين الله ، ولا تهتدى بهديه ومنهاجه ، بل تتبع الهوى والشهوات حتى غرقت فى جحيم المفاسد والقاذورات :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتماً وعويلا

وتلك حقيقة لا تقال بغير برهان ، ولكنها حقيقة قد جربتها التجربة ونطقت بها الحياة وما فيها من معاناة وألم . وما أصدق القرآن وهو يردد على الدوام قول الله عز وجل :

« ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا »[1] .

الغاية من الأخلاق :

لا شك أن الأخلاق هى الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم ، ولهذا ترى الباحثين والفلاسفة قد اتفقت كلمتهم على ضرورتها للفرد لصالح نفسه وللمجتمع فى جملته .

---

(١) طه : ١٢٤ وانظر دراسات فى الثقافة الإسلامية/ أحمد عبد العزيز ص ٣٥٠ — ٣٥٢ بتصرف .

فكما أن الفرد يضيره ويفسد من أعماله أن يكون كاذباً مرائياً حسوداً شريراً ماكراً ، كذلك تفسد المجتمعات بشيوع هذه الصفات في آحادها .

من أجل هذا كان أول ما توجهت إليه عناية الفلاسفة ، والمشرعين الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة لأنها الدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم .

بل كانت رسالة الأنبياء الحث على الأخلاق النبيلة ، وجاء القرآن الكريم مشدداً على الاستمساك بها ، لأنها هي التي تحقق الفوز بالنعيم الأخروى .

يقول دكتور (جوستاف لوبون) : إن أصول الأخلاق في القرآن الكريم عالية علو ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها)[١] .

وهذه شهادة من رجل علمى في أخلاق القرآن الكريم لها قيمتها العلمية إذ لم يمله عليه حب لمبدأ أو كره لآخر بل شهادة للحق ومن أجل الحق ، وأداء للرسالة العلمية التي يقوم بخدمتها ، إن قول جوستاف لوبون صدر بعد أن اطلع على القرآن الكريم اطلاعاً وافياً وخبر ما فيه من الأخلاق ، ولا يخفى على الناس أن الدكتور جوستاف لوبون درس الأديان ، وأنه حجة في علم الاجتماع فشهادته لها قيمتها في هذا المجال[٢] .

والفضائل التي أمر بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هي الفضائل الإنسانية الحقة التي أجمع الفلاسفة ودعاة الإصلاح في العالم على

---

(١) حضارة العرب نقلا عن الترجمة العربية للأستاذ محمد عادل عيثر ص ٤٥٤

(٢) روح الدين الإسلامى — عفيف عبد الفتاح طبارة ص٢٠٤ دار العلم للملايين — بيروت .

المناداة بها ، والتى لو عمل إيها الناس لحصلوا على أعظم الخير لعالمهم المضطوب .

والرذائل التى نهى عنها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هى سبب الخصام والعداوة والحسد والبغضاء والحقد بين الناس ، وهى التى لا يشك أى مخلص فى ضررها يبتغى الخير لنفسه وللإنسانية جمعاء .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

المؤلف

المـراجع

١ ـ القرآن الكريم كتاب رب العالمين .

٢ ـ إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالى .

٣ ـ أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان .

٤ ـ البداية والنهاية ، للإمام ابن كثير .

٥ ـ تفسير القرآن العظيم ، للإمام ابن كثير .

٦ ـ تربية الأولاد فى الإسلام ، عبد الله ناصح علوان .

٧ ـ التربية فى الإسلام ، د/أحمد فؤاد الأهوانى .

٨ ـ الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبى .

٩ ـ حياة الصحابة .

١٠ ـ حضارة العرب ، جوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعتير .

١١ ـ الحسبة فى الإسلام ، د/إبراهيم الشهاوى .

١٢ ـ التصوف فى الإسلام ، د/زكى مبارك .

١٣ ـ الخلفاء الراشدون ، عبد الوهاب خلاف .

١٤ ـ الخصائص العامة للإسلام / د يوسف القرضاوى .

١٥ ـ رياض الصالحين ، للإمام النووى .

١٦ ـ روح الدين الإسلامى ، عفيف عبد الفتاح طيارة .

١٧ ـ الديوان ، للإمام الشافعى .

١٨ ـ دراسات فى الثقافة الإسلامية ، د /أمير عبد العزيز .

١٩ ـ دراسات فى الدعوة الإسلامية ، د/عبد القادر سيدعبدالرءوف

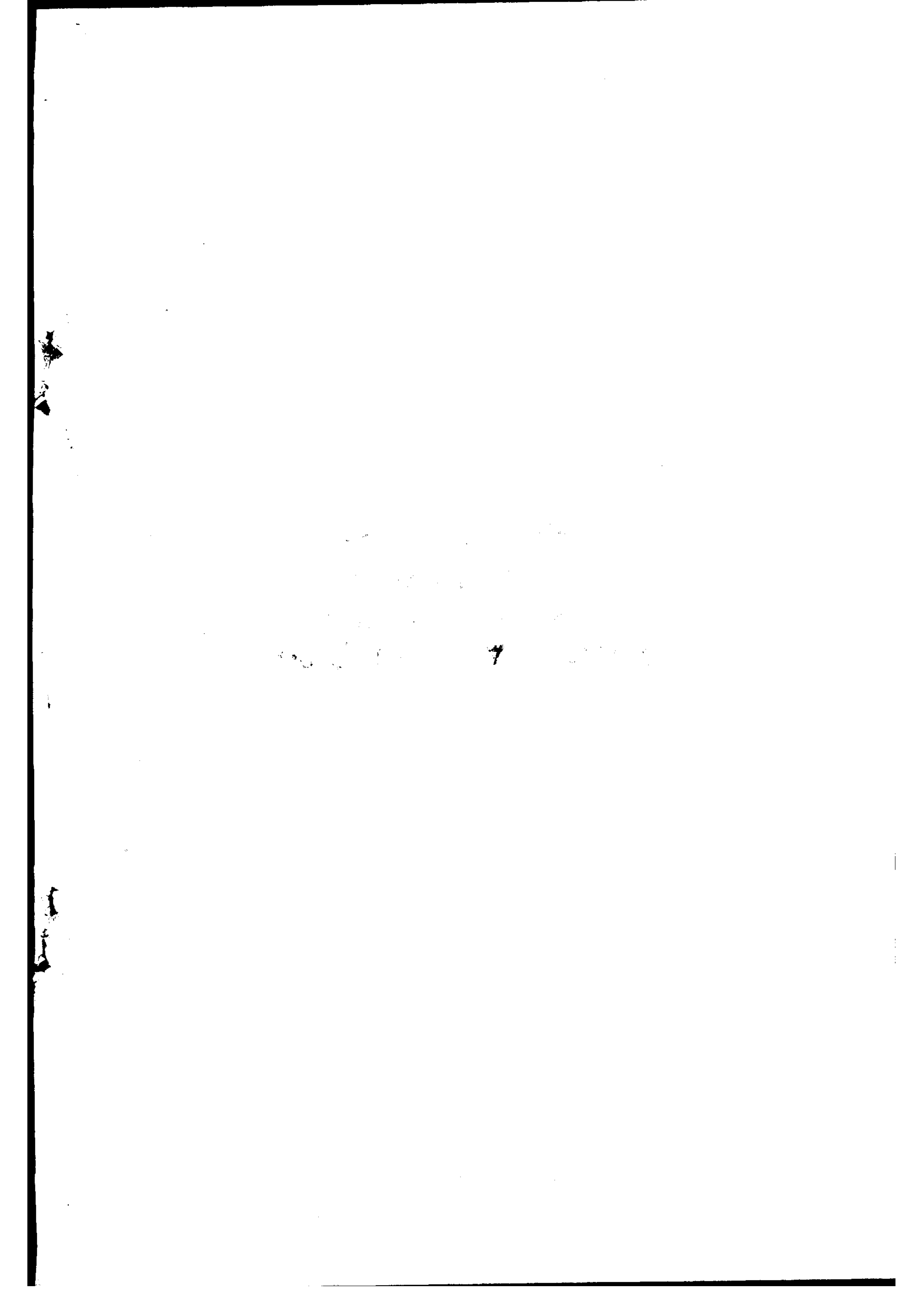
٢٠ — سنن أبى . للإمام أبى داود .
٢١ — سنن الترمذى، للإمام الترمذى .
٢٢ — صحيح البخارى، للإمام البخارى .
٢٣ — صحيح مسلم ، للإمام مسلم .
٢٤ — صفوة التفاسير ، محمد على الصابونى .
٢٥ — عبقرية عمر ، للعقاد .
٢٦ — عقيدة المسلم ، عبد الحميد السايح .
٢٧ — مسند الإمام أحمد ، للامام أحمد بن حنبل .
٢٨ — مختار الصحاح ، للرازى .
٢٩ — المصباح المنير ، للرافعى .
٣٠ — المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية .
٣١ — المناقب ، للبيهقى .
٣٢ — قضايا العصر فى ضوء الإسلام ، أنور الجندى .
٣٣ — موطأ الإمام مالك ، للامام مالك بن أنس .
٣٤ — محاضرات فى الثقافه الإسلامية ، أحمد محمد جمال .
٣٥ — مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة ، الشيخ محمد الغزالى .
٣٦ — منهج التربية الإسلامية ، للأستاذ محمد قطب .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
تعريف الأخلاق	٧
مكانة الأخلاق فى الإسلام	٨
مصادر الأخلاق فى الإسلام	١٦
١ ـــ القرآن الكريم	١٧
٢ ـــ السنة النبوية الشريفة	١٨
٣ ـــ سيرة السلف الصالح	٢٠
خصائص الأخلاق الإسلامية	٢١
١ ـــ التوازن	٢٢
٢ ـــ الشمول	٢٣
٣ ـــ الإيجابية	٢٧
٤ ـــ لزوم الأخلاق فى الوسيلة والغاية	٢٨
٥ ـــ إرتباط الأخلاق بمعانى الإيمان والتقوى	٢٨
٦ ـــ إرتباط الأخلاق بالعقيدة والعبادة	٣٠
٧ ـــ تفصيل الأخلاق	٣٣
أمثلة على ذلك	٣٤
١ ـــ خلق التوكل على الله تعالى	٣٥
٢ ـــ خلق الرحمة	٤٠
٣ ـــ « الحياء	٤٤
٤ ـــ « الإحسان	٤٨

الموضوع	الصفحة
٥ — خلق الصدق	٥٤
٦ — « الصبر	٥٩
٧ — « العدل	٦٤
٨ — « الإستقامة	٦٧
٩ — « التواضع وذم الكبر	٧٠
١٠ — « العفو	٧٦
١١ — « التقوى	٨٠
١٢ — « الإيثار وحب الخير	٨٦
٨ — وقوع الجزاء فيها	٨٩
وسائل الإسلام فى اكتساب الفضائل ومقاومة الرذائل	٩١
(ا) الإستقامة	٩٣
(ب) القدوة الحسنة	٩٣
(ج) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	٩٥
(د) التربية	٩٧
(ه) الصدق	٩٩
(و) التعاون	١٠١
نماذج من أخلاق السلف الصالح	١٠٣
١ — أبو بكر الصديق رضى الله عنه	١٠٤
٢ — عمر بن الخطاب رضى الله عنه	١٠٥
٣ — عثمان بن عفان رضى الله عنه	١٠٦
٤ — على بن أبى طالب رضى الله عنه	١٠٧

الموضوع	الصفحة
٥ — عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه	١٠٩
أخلاق الإسلام والأخلاق الأخرى	١١١
الغاية من الأخلاق	١١٢
مراجع الكتاب	١١٥
الفهرس	١١٧



رقم الإيداع بدار الكتب
٤٠٤٧ / ١٩٩٢ م
I.S.B.N. —977—00—3311—1
٣٠ من شوال ١٤١٢ ﻫ — ٣ من مايو ١٩٩٢ م